روايات عبير



مفاجأة!
خاتم الماس
جائزة مسابقة عبير
بالاشتراك مع راديو مونت كارلو



فلورا كيد

ذهبي الشعر

٦٨

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 68

ذهبي الشعر

«أتريدين اقناعي بأنك تحبينه لنفسه، وانك مستعدة لمنحه كل شيء من دون مقابل؟ آه كم أنت ساذجة!...»

امرأتان ورجل واحد سيء السمعة، ذهبي الشعر، دائم الأسفار. ووسط الرياح والأمواج المنكسرة على الشاطىء الغربي من اسكوتلندا يحصل اللقاء الذي يستمر على كرّ وفرّ. لا الثلج المتساقط على السفوح الجليدية يؤخره ولا المداخلات العنيفة من قبل الأصدقاء... لكن موراغ وديفيد غير متفقين على امور كثيرة وبينهما فرجينيا المتسلطة ذات السطوة الكبيرة والنفوذ، كذلك بينهما آندي الرقيق المحب رفيق الطفولة وموراغ موعودة به منذ سنوات طويلة...

فكيف اخيرا، يتمكنان من اختراق كل التناقضات؟

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
WHISTLE AND I'LL COME

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd. Bungay, Suffolk

١ - الحب من أول نظرة

توقفت موراغ هندرسن عن التدقيق في دفتر حسابات الفندق الصغير الذي كانت تساعد والدتها في ادارته، ووضعت رأسها بين كفيها على الطاولة أمامها، وراحت تحدق من خلال نافذة غرفة الطعام الى الامواج المتلاطمة والجزر الداكنة التي كادت الامطار الغزيرة تحجب رؤيتها. فالخريف في تلك السنة بدأ بداءة قاسية أوقعت كثيراً من الاضرار في ذلك المتجع الصيفي الصغير، على الشاطىء الغربي لاسكوتلندا حيث كانت تقيم موراغ هندرسن. ولحسن الطالع ان الفندق لم يتكبد الا القليل من تلك الاضرار، مما افرح موراغ بعض الشيء لأن موازنة حسابات الفندق لا تسمح الا بصرف مبلغ زهيد من المال لاصلاحه، اضافة الى المبلغ المتوجب

صرفه لاصلاح الاضرار العادية التي اصيب بها الفندق في الصيف الماضي.

ويا له من صيف! فالشمس لم تشرق فيه الا اياماً قليلة في مطلع حزيران (يونيو) وايلول (سبتمبر). اما في سائر الايام، فكان المطر المنهمر بغير انقطاع، والريح الهوجاء، يحملان المصطافين، نزلاء الفندق، على العودة الى مدنهم قبل انتهاء عطلتهم الصيفية. ولولا بعض النزلاء، ومنهم بيتر مورتن، الذي كان يدير اعمال بناء محطة لتوليد الطاقة الكهربائية في مكان مجاور على ذلك الشاطىء، وزميله المهندس في ادارة تلك الاعمال، لعجز الفندق عن تحقيق اية ارباح في تلك السنة.

فهل كانت جين هندرسن والدة موراغ على علم بالحالة المالية البائسة التي كان يعانيها الفندق؟ هذا ما كان يشغل بال موراغ، على الرغم من انها كانت تثق بان والدتها بعيدة عن الحماقة والتهور. فكلما حاولت اقناعها بالتقليل من وجبة الطعام كضرورة لتجنب الخسارة، رفضت وقالت:

«كيف يقوم الرجال بأعمالهم خير قيام بوجبة هزيلة من الطعام؟ وكذلك، فكيف احتفظ بسمعتي كأفضل طاهية للطعام على طول هذا الشاطىء وعرضه؟».

وكان هذا صحيحاً. فهي تعلمت فنون طهي الطعام في اشهر مدارس البلاد. وكذلك فعلت ابنتها موراغ، ولكن لفترة قصيرة لأن والدها مات فجأة منذ سنة وبضعة اشهر، فاضطرت الى العودة من مدرستها لمساعدة والدتها في ادارة شؤون الفندق.

وكان والدها الذي كان يعمل في شركة المقاولين التي تعاقدت لبناء محطة توليد الطاقة الكهربائية هو الذي اتى ببيتر مورتن الى الفندق

حين بوشر بناء المحطة لأربع سنوات خلت. اما الآن، وبناء المحطة اشرف على الانتهاء، فلم يبق لبيتر مورتن ولزملائه المهندسين وسواهم من المستخدمين الا ان يغادروا المكان عائدين الى حيث جاؤوا. وهكذا يرجع المكان الى ما كان عليه سابقاً من الحياة الرتيبة.

وفيما كانت موراغ غارقة في التفكير، صاحت والدتها تسألها اين انت؟ فلما اجابت انها في غرفة الطعام، قالت لها والدتها:

«ماذا تقدرين ان تفعلي يا ابنتي، والغرفة كاد يلفها الظلام؟».

قالت هذا الكلام ودخلت الى الغرفة لتضيء كل الانوار. ثم اسرعت الى النوافذ واسدلت الستائر المخملية الطويلة، فعادت الحياة الى الغرفة. وعندئذ ظهر ما كان في الغرفة من طاولات صغيرة وكراسي، فضلا عن خزانة ضخمة من خشب السنديان مطعّمة بالنحاس. وبدت النار في الموقدة المبنية بالأجر الاحمر على وشك التحوّل الى رماد. فما كان من جين هندرسن الوالدة الا ان ركعت متأففة غاضبة تزيح الرماد وتضع مكانه قطع الحطب.

ثم وقفت وحدّقت الى ابنتها التي ظلّت جالسة الى احدى الطاولات، وقالت لها:

«كفاك استسلاماً لأحلام النهار! هل انهيت التدقيق في دفتر الحسابات؟».

قالت ذلك واخذت تخرج الملاعق والصحون من الخزانة، وترتبها على مائدة الطعام.

فاجابتها موراغ وهي تتمطى وتتثاءب:

«كلا. لم انهه بعد. سأنهيه هذا المساء ان شاء الله. ما بالك تهيئين موائد الطعام؟ هل حان الوقت؟».

فقالت امها:

«نعم. وكان عليك انت ان تهيئيها من قبل، لأن بيتر سيصطحب رجلا آخر هذه الليلة. . . رجلا اسمه ديفيد، وسيقيم هنا الى كانون الثاني (يناير)».

فسألتها موراغ بغير اهتمام اذا كان الرجل قادماً من لندن، وكانت تلملم بعض الفواتير والوصولات وتضعها في أماكنها الخاصة بها. وكانت موراغ، بينها وبين نفسها، لا تبالي بأولئك الرجال البريطانيين ذوي القامات النحيلة، واللهجات الغريبة، والتصرفات المرحة، الذين جاؤوا للعمل في محطة التوليد الكهربائي. ذلك انها، وهي الخجول بطبعها، لم تجد ما تقوله لهم، على الرغم من ان جمالها كان يستهويهم وكان لديهم الكثير مما يقولونه لها، وذلك قبل ان يلاحظوا قلة اهتمامها بهم، فتركوها وشأنها. اما الآن فتمنت ان يكون القادم الجديد كهلا ومتزوجاً، بحيث لا يكون عليها ان تتحمل، كعادتها، الدعابة والمزاح اللذين طالما ازعجاها واحرجاها.

وقالت لها امها:

«هذا القادم الجديد سيحلّ محل احد المهندسين في محطة التوليد الكهربائي، بعد ان اقعده المرض. وكان فيما مضى يشغل الوظيفة نفسها، ولكنه رقي الى وظيفة اعلى واحتفظت الشركة به في مكاتبها بلندن. وبيتر يعرفه جيداً، ويبدو انه مسرور لمجيئه الى هنا».

فقالت موراغ:

«كم تضحكيني عندما تتكلمين عن المحطة كأنك تعرفين كل التفاصيل. . . او كما لو كنت احد مهندسيها!».

فاجابت امها:

«نعم، اشعر احياناً كأنني اعرف كل شيء، بعد ان اصغي الى

احاديث بيتر والآخرين. وتمرّ ايام تبدو فيها محطات التوليد الكهربائي كأنها طعامنا وشرابنا، خصوصاً في فصل الشتاء، حين ينقطع مجيء الزائرين. والآن فاتني ان اسألك ماذا يقول آندي في رسالته. هل يذكر متى سيعود؟».

واخرجت موراغ الرسالة من جيب سروالها وتمعنت في طابع البريد. وكانت الرسالة وصلتها ذلك الصباح من آندي روبرتسن الذي كان في عرض البحار على احدث ناقلة للنفط، حيث يتناوب العمل كمهندس بحري.

وقالت موراغ لأمها:

«يقول آندي انه سيعود في عطلة الاعياد. ورسالته مصدرها اثينا حيث رست الناقلة من دون ميعاد. وكان هذا من حسن حظ آندي، لأن الشمس هناك مشرقة والطقس جميل ودافىء. آه، كم اتوق الى السفر، فهذا المكان، دارليغ، موحش وكئيب في فصل الشتاء، بحيث يغادره الى انكلترا اوسواها جميع الذين في سن الشباب. فبعد قليل سيذهب جوني وكاتي الى الجنوب. وتقول آن انها حالما تنهي، هي وفرانك، دراستهما في كلية الفنون سيرحلان الى كندا وهكذا اودع اقرب اصدقائي اليّ».

وهنا رمقت جين ابنتها بنظرة كلها حنان، وعادت بالذاكرة الى الوقت الذي قطعت فيه موراغ دراستها لتعود الى البيت حتى تساعدها في ادارة الفندق بعد موت زوجها. وقبلت جين هذا الامر على مضض، لأنها كانت تفضّل ان تتابع موراغ دراستها الجامعية، بحيث تحصل على درجة علمية تؤهلها العمل في سبيل الرزق. ولكن موراغ رفضت ذلك بعناد، وها هي الآن جالسة الى الطاولة بقامتها الهيفاء، والرسالة في يدها، وعيناها الزرقاوان الواسعتان

مليئتان بالشوق والحنين تحت اطراف شعرها الاسود القصير، وشفتاها المكتنزتان تتدليان قليلا حول مبسمها. وكم تمنت جين في تلك اللحظة ان تكون لها القدرة على اقناع ابنتها بالعودة الى استئناف دراستها الجامعية، اذن لكانت تجنبت ان تراها على ما هي عليه من التذمر والخيبة.

كانت موراغ في التاسعة عشرة، فلا عجب ان يجتاحها قلق الشباب وعناده. ثم انها آمنت ايماناً قاطعاً بالحرية الفردية وروح التجديد في الرأي والسلوك واللباس. وحين فارقها آندي، في شباط (فبراير) الماضي، للقيام برحلته البحرية الطويلة، تعاهدا على ان لا يعدا احداً بخطوبة او زواج، الى حين عودته. وعندئذ ينظران في امر الزواج، واحدهما من الآخر. وكان هذا التعاهد مليئاً بروح الشجاعة الهوجاء. ذلك ان الزواج في تلك السن المبكرة لم يكن قائماً على التعقل، بقدر ما كان زيّاً متبعاً عند ابناء ذلك الجيل. ومع ان جين لم تكن، في قرارة نفسها، توافق على الزواج المبكر، الا انها قالت لموراغ على سبيل تعزيتها:

«آندي سيعود قريباً، وربما تزوجتما في مطلع السنة الجديدة!».

فقالت موراغ:

«هذا اذا ادخر المال الكافي، لأنه قال لي مرة انه لن يتزوج حتى يجمع مالا يكفي لشراء بيت... وهذا قد يستغرق سنين. ومن قال ان شراء بيت ضروري الى هذا الحدّ؟ فأنا لا اريد ان اتزوج ليكون لي بيت اقيم فيه، بينما هو بعيد عني في عرض البحار».

فقالت امها:

«انت غير ملزمة بالزواج منه. فانت غير مخطوبة له خطوبة رسمية».

فاجابت موراغ:

«اعرف ذلك».

ثم قالت:

«ولكنه لم يطلب الزواج مني، وانا لم اعده بأني انتظره».

ولاحت على فمها ابتسامة مفاجئة وهي تقول:

«لا تقلقي عليّ في هذا الشأن يا امي. انه الطقس الكئيب والتدقيق في دفتر حسابات الفندق هما اللذان ينغصّان عيشي. وستتحسن الحال حين يسقط الثلج ويصبح بامكاني التزلّج عليه».

وفتح الباب الخارجي، ثم الباب الداخلي، فدخلت الريح الغربية الى الغرفة، فبعثرت الاوراق واخرجت الدخان من باب الموقدة. فصاحت الام وابنتها: «اغلق الباب!» فانغلق الباب بضجة شديدة ودخل بيتر مورتن الى الغرفة وقال معتذراً:

«كنا، انا وديفيد، نحمل بعض الحقائب، في ايدينا فلم نستطع ان نقبض على الباب الخارجي جيداً، فانفتح وهجم الريح وفتح الباب الداخلي. فمعذرة منكما... ذهب ديفيد ليأتي ببقية الحقائب».

ولاحظت موراغ، وهي تجمع الدفاتر والملفات، ان بيتر، كالعادة، لا يلتفت الا الى امها جين. كان بين الاربعين والخمسين من عمره، ذا شعر اسود وعينين عسليتين وملامح صلبة، ويتصف كمواطنيه اليوركشايرين بقوة العزيمة والشخصية التي تنمّ عنها نظراته الخاطفة وحركاته المتباطئة.

وقال بيتر لموراغ مداعباً:

«اما تزالين منصرفة الى جمع الارقام؟».

فلم تجبه، بل مرّت من امامه وهي تحمل بين يديها كومة من

الدفاتر والاوراق، عبر باب غرفة الطعام، الى البهو الخارجي.

ولم تتمكن موراغ ان ترى رجلا مديد القامة يقترب نحوها، اكثر مما تمكن هو ان يراها. ذلك ان باقة الزهور الصفراء التي كان يحملها بين يديه حجبت عنه الرؤية. فكان ان تصادما بشدة، فوقع الرجل ممدداً على الارض، وموراغ على صدره، والدفاتر والاوراق مبعثرة في كل اتجاه. وقبل ان تتمكن من النهوض، كانت ذراع الرجل تلفها وتمنعها عن ذلك. وكم كان خوفها شديداً حين شعرت بخدّ خشن يضغط على خدها، وبصوت هازىء يقول لها:

«يدهشني انك تهتمين بعملك كل هذا الاهتمام!».

وكان بيتر واقفاً في البهو يضحك بصوت عال ويقول لجين:

«هذه عادة ديفيد هاكيت في دخول الابواب، يا جين! فانا لم اعرف رجلا كثير الوقوع مثل هذا الرجل».

والتفت الى ديفيد قائلا:

«نجحت حقاً في ان تجعل الجميع يلاحظون دخولك».

ثم مدّ يده الى موراغ وهو يقول لها:

«انهضي قبل ان تسحقي باقة الزهور».

فنهضت موراغ شاكرة معونته، فيما علت خديها حمرة الخجل والارتباك. وحين نهض ديفيد هاكيت ايضاً بقفزة رياضية سريعة، اقبلت عليه موراغ تعتذر منه بكلمات علقت في حلقها. ذلك ان الرجل كان مديد القامة، ذا شعر ذهبيّ اللون يشعّ تحت الضوء الكهربائي بازاء سترته الزرقاء. واخذت عيناه اللتان بلون البحر ترمقان موراغ بابتسامة لاحت على وجهه المستطيل. فحسبته بطلا من الابطال الاقدمين الذين طالما غزوا شاطىء بلادها، قد نفض عنه غبار السنين ودخل حياتها. وتصدت له بغريزة الدفاع عن النفس،

فوقفت امامه بأطول ما يمكن ان تبلغه قامتها، فيما شحب لون ملامحها الزاهر، وهي تقرأ الاعجاب الذي تجلّى في عينيه.

ولم يلاحظ بيتر حدوث اي ارتباك وتوتر، فبدأ بكلمات التعريف وقال لموراغ:

«هذا ديفيد هاكيت، يا موراغ، قدم من لندن لمساعدتنا في المحطة على الخروج من مأزق وقعنا فيه».

فقالت موراغ بخشونة:

«أخبير جديد ايضاً؟».

ولكن ديفيد تلقى هذه الملاحظة بصدر رحب، فقال:

«خبير بشيء واحد فقط. . . هو اضحاك الناس، كما شاهدت الآن!».

فكان لرده المتسامح هذا اثره في نفس موراغ، اذ شعرت انه كان بمثابة توبيخ لها وضعها في مكانها كفتاة مراهقة، كما شعرت بعجزها عن مقاومة نظراته الباسمة وهو يقول لها بصوت خافت:

«انا مسرور بلقائك يا موراغ».

والتفت الى بيتر متابعاً:

«وانت رجل شاطر يا بيتر. الآن عرفت لماذا تنزل في هذا الفندق».

ثم قام بيتر بتعريف ديفيد الى جين، فقدّم لها ديفيد باقة الزهور التي اصابها بعض العطب، فسرّت جداً بمبادرته هذه واعجبت به اشد الاعجاب. ولم يرق ذلك لموراغ، اذ اعتبرت ان ديفيد لم يكن الا كسواه من المهندسين الذين عملوا في المحطة. فهو متعجرف، يغزو ذلك المكان في الخفية ويأخذ منه ما يريد، ثم يغادره محملاً بالغنيمة وتاركاً الخراب وراءه. وهزت موراغ رأسها وهي تقول لنفسها:

وماذا دهاني؟ هذا الرجل لا علاقة له بالغزاة الاقدمين من بني قومه. فهو لا يعدو كونه رجلا انكليزياً متحضراً، وان لم يرق لي».

ولملمت موراغ دفاترها واوراقها التي تناثرت عند وقوعها، يعينها على ذلك ديفيد. ولكنها رفضت طلبه ان يحمل الدفاتر والاوراق عنها، فقابل رفضها بابتسامته وقال بصوت خافت:

«انا آسف على ما بدر مني، وارجو ان لا اكون اصبتك باذى. فمن عاداتي السيئة اني لا انبصّر جيداً الى اين انا ذاهب... وهذا يوقعني احياناً في ادق المآزق. ولكن لي رجاء واحد، وهو ان لا تنسى كيف التقينا لأول مرة!».

فارتبكت موراغ للطفه الزائد ولابتسامته الساحرة، فلم تجد ما تقوله له. أمسكت بدفاترها واوراقها، ملقية برأسها الى الوراء، لترى طريقها جيداً هذه المرة.

وسارت الليلة مسراها الطبيعي. فعاد رون شيلدز وستيف هاريس وريغ مارسر، وهم الثلاثة الذين يعملون في المحطة، لتناول طعام العشاء عند الساعة السادسة. وحاولت موراغ، بعدما حدث لها ما حدث مع ديفيد، ان تتهرب من استضافة اولئك الرجال، ولكن والدتها جين لم توافق على ذلك. غير انها ادركت، وهي تقوم بواجبها في غرفة الطعام، ان ديفيد الجالس بقرب بيتر الى مائدة الطعام، كان مأخوذاً بالحديث معه، فلم يعرها الا قليل من الاهتمام.

وبعد العشاء، تناولت موراغ وامها الطعام في المطبخ الواسع المريح الذي كان ايضاً الغرفة التي يستخدمانها للجلوس في اوقات الاستراحة والفراغ من العمل. ثم قامتا بتنظيف الصحون واحالتها الى ألسي ويتس لغسلها، وهي المرأة التي كانت تقوم بهذه المهمة كل

صباح ومساء، وبغيرها من المهمات الشاقة.

وكانت العادة أن تجلس موراغ الى احدى طاولات غرفة الطعام، بعد تنظيفها وترتيبها، للتدقيق في دفاتر حسابات الفندق، بينما تكون والدتها جين جالسة على كرسيها الهزاز، قبالة الموقدة، تحيك بالابرة قميصاً لموراغ. ولم يكن يقطع حبل الصمت والسكون احياناً غير ضحكات الرجال من نزلاء الفندق الجالسين في غرفة الاستقبال. وذلك بالاضافة الى الاصوات المتعالية في البهو الخارجي، والى صرير باب هنا وباب هناك، او الى ازيز محرّك سيارة تتهيأ للانطلاق في الممرّ الضيق.

وفي ذلك المساء، بعد العشاء، دخل بيتر الى الغرفة من غير استئذان، فجلس الى كرسي مريح قبالة جين. وكان من عادته ان يفعل ذلك، حين لم يكن مضطراً للعودة الى عمله في المحطة. وكانت موراغ تلاحظ هذا الأمر، منذ سنة تقريباً، بشيء من القلق. ولكن ما حدث بعد ظهر ذلك النهار جعلها تمعن النظر والتأمل في تطور علاقة بيتر بوالدتها جين. ذلك انه كان، على مرور الايام، يزداد جرأة في تصرفه مع جين، كمن له دالّة الرجل المدلل. وها هو الآن يدخل الى الغرفة، فتبتسم له، كعادتها، ولكن ببسمة فيها من الحب اكثر مما فيها من الترحيب الحار.

الحب؟ سألت موراغ نفسها وهي تنظر بعبوس الى الدفاتر امامها. لماذا لم تلاحظ ذلك من قبل؟ فهما عاشقان كما يجب ان يكون العشق. فكيف لم تتبين ذلك؟ ايكون لأنها كانت غارقة في تفاصيل حياتها الخاصة طوال السنة الماضية؟ وفي اية حال، فلعل ما يبرر جهلها للأمر ان لا يتبادر الى ذهنها وقوع امرأة كوالدتها في الحب والغرام، وهي في منتصف العمر. ولكن، لماذا لم تخبرها بذلك؟ وهل

كان عليها ان تفعل؟

مرّت هذه الخطرات ببال موراغ، ثم انصرفت الى التدقيق في دفتر الحسابات الذي أمامها.

وفجأة ادركت ما كانت تعنيه تلك الخطرات.

ايكون انها تحب آندي؟ واذا كانت لا تحبه، فلماذا وعدته بالانتظار الى ان يعود؟ وهل تعرف الآن ما هو الحب؟

وتأوهت موراغ وهي تواجه هذه المسألة التي كانت سبباً في ازعاجها، منذ فارقها آندي، ولم تجد لها حتى الآن جواباً مقنعاً.

وقالت جين لبيتر مشيرة الى موراغ:

«عادت حليمة الى عادتها القديمة. كانت على هذه الحال في غرفة الطعام بعد الظهر، فماذا يا ترى ورد في رسالة آندي اليها؟».

فقال بيتر:

«لا بدّ ان يكون ورد شيء ما».

ونظر الى موراغ وقال:

«ما بك، يا موراغ؟ اخبرينا».

فأجابت موراغ متأففة:

«كفاك يا بيتر. لماذا كل هذا الضجيج؟».

فاجابها بيتر:

«اذن سمعت ضحكاتنا؟».

فقالت موراغ:

«نعم، وسمعت ايضاً خبطة الباب... وازيز محرّك السيارة».

فاعتذر بيتر قائلا:

«ديفيد هو الذي تسبب بذلك يا موراغ. عليك ان تتحملي بعض الضجيج الذي يحدثه وجوده هنا».

والتفت بيتر الى جين وقال متابعاً:

«وارجو ان لا يزعج جيرانك، يا جين. انه رجل يحب العمل في الليل. هذه عادته. فأين هو الآن؟ في غرفته يعمل حتى طلوع الفجر، او بعد موعد تناول طعام الفطور. لا تستغربي تصرفاته، بل حاولي ان تفهميها. فقد يأوي الى فراشه بعد ليل طويل من العمل، فلا ينهض الا في المساء. عليك ان توقظيه، وهو يقول لك متى. وانا ارجو، يا جين، ان لا يكون مصدر ازعاج لك».

فاجابت جين:

«لا. لا يشغل بالك. سنتدبر الامر بعد وقت قصير. وبوسع موراغ ان تعتني به».

وهزت موراغ رأسها عند سماع هذا الكلام، ولكن جين تجاهلت امارات الاضطراب والتمرّد على وجهها.

وقال بيتر:

«حسناً» وغرق في كرسيه المريح، ثم تابع قائلا:

«اذن، كل شيء على ما يرام. فكم خفف عني مجيء ديفيد الى العمل معي. كنت اظن ان كبير مهندسي الشركة في لندن لن يسمح له بالمجيء».

فقالت جين:

«لماذا؟».

فاجابها بيتر:

«لأن المسألة معقدة جداً. فرئيس الشركة معجب بديفيد كل الاعجاب ويحاول ان يهيئه لمنصب رفيع في الادارة. ولذلك نقلوه من العمل في المحطة هنا الى مركز الشركة في لندن، حيث تذهب مواهبه هدراً. فهو احد امهر المهندسين في الشركة، ويفضل العمل في تنفيذ

المشاريع على العمل في مركز الادارة».

وسألت جين:

«هل هو متزوج؟».

فاجابها بيتر:

«كلا. هناك فتيات كثيرات في حياته، ولكنه يحرص على البقاء طليقاً من رباط الزوجية».

فقالت جين:

«يا له من شاب وسيم. وكم احببت الزهور التي اهدانيها. هل رتبتها موراغ ترتيباً حسناً في المزهرية؟ الا تعتقد، يا بيتر، ان ديفيد هو الذي يجب ان يكون حذراً من الوقوع في الفخ هذه المرة؟».

وعلت على شفتيها ابتسامة هازئة، واضافت قائلة:

«تذكَّر، يا بيتر، كم من الشبان العاملين في المحطة وقعوا ضحية الفتيات الاسكتلنديات اللواتي هن من مثيلات موراغ!».

وتبادل بيتر وجين نظرة حميمة كلها خبث، لاحظتها موراغ فقطبت جبينها استنكاراً. وقال بيتر:

«هذا صحيح. فاحدى اولئك الفتيات ستتزوج جوني ردفيرن في العيد المقبل، وهي كاتي بار صديقة موراغ».

والتفت الى موراغ سائلا:

«متى ينجز ثوب العرس يا موراغ؟».

فاجابت موراغ:

«يتم انجازه ببطء لأن فيه كثيراً من التطريز».

وكانت موراغ تساعد صديقتها في تصميم ثوبي العروس والعريس. ثم قالت في نفسها عن ديفيد:

«اذن، فذلك الانكليزي صياد نساء! ولا عجب في ذلك بعد ما

رأيت فيه، من اللباقة وحسن التصرف».

والقت نظرة على باقة الزهور التي وضعت في المزهرية امامها، فلم يرق لها اعجاب امها بفطنة مهديها.

وقال لها بيتر:

«اما زلت تغالين هذه الارقام؟».

فأجابت موراغ:

«نعم. فهي لا تتوازن».

وهنا صاح بيتر:

«اتركيها، اذن! سأنظر فيها بعد حين. اما الآن فاستريحي، وتعالي اخبريني ما رأيك في ديفيد. فانا اخشى ان يكون قد ترك في نفسك اثراً سيئاً، نتيجة ما حدث بعد الظهر».

فانزعجت موراغ من صراحته وقالت:

«لم يعجبني، فهو رجل متسلط فظ».

واحمرت وجنتاها خجلا حين نظر اليها بيتر وجين نظرة استغراب. وقالت لها جين بغضب:

«ما هذا الكلام يا موراغ؟».

ولكن بيتر تصدى للأمر بدهائه المعهود وقال لموراغ:

«لعلك على صواب. فديفيد، ولا شك، يمكن ان يكون متسلطاً فظ الطباع، ان هو ارخى لحيته واطال شعره ولبس خوذة المحاربين الانكليز القدماء. فهو في الواقع من سلالة هؤلاء».

فأثار هذا الكلام اهتمام موراغ، فالتاريخ كان دائماً موضوعاً محبباً اليها. على ان هذا الحوار لم يرق لجين، فقالت:

«ما هذه الثرثرة؟ لم افهم شيئاً بعد».

فقال بيتر ضاحكاً:

«الا يعني لك التاريخ شيئاً؟ كل ما في الامر ان موراغ ترى ان ديفيد يشبه اولئك الغزاة القدماء الذين غزوا هذا الشاطىء، من مئات السنين، فهي لذلك لا تحبه».

فاجابت جين، موجهة كلامها الى موراغ:

«سواء احببته ام لا، عليك ان تكوني مهذبة وحسنة التصرف معه».

وتطلعت موراغ الى بيتر، وكأنها تؤنبه على اجراء حوار تسبب في هذا التوبيخ الذي وجهته اليها امها. فقال بيتر لجين:

«لا تقلقي يا جين، فديفيد لم يلاحظ شيئاً، لأنه كان مأخوذاً بجمال موراغ. وانا اعتقد انها تصرفت معه بخشونة، لأنها شعرت بالرعب».

فصاحت جين في وجه موراغ:

«بالرعب؟ هل شعرت بالرعب يا موراغ؟».

فلم تجب موراغ، بل وقفت برأس مرفوع وقالت بحزم:

«لا تبالي عما يقوله بيتر يا اماه!».

ولكن جين اصرّت على القول:

«لماذا ارتعبت يا موراغ؟ فانا اعتقد ان ديفيد رجل وسيم يثير الاعجاب. ومن حسن الطالع ان نجد رجلا مثله في هذه الايام. وانا لا افهم لماذا تتخذين هذه المواقف العنيفة نحو الآخرين. فعليك ان تكوني اكثر تسامحاً وسعة صدر».

وقبل ان تجد موراغ الجواب المناسب، انبرى بيتر الى القول ضاحكاً:

«لعلها كانت تخاف من ان يمسك ديفيد بشعرها ويجرها الى سفينته

ويقلع بها الى مكان بعيد!».

فرمقته موراغ بنظرة قاسية وتمتمت قائلة:

«ما اسخف هذا الكلام! ما اسخفه حقاً!».

وخرجت لتهيىء القهوة وهي غاضبة، لأن تصرفها الغريب مع ديفيد في ذلك النهار كان ظاهراً لكل ذي عينين.

٢ - على شفير الحب

كان النهار التالي معتدلا ورطباً، اذ استنفدت العاصفة قوتها اثناء الليل.

وفيما كانت موراغ تبحث عن بعض الاوراق البرية لتضمها الى باقات الزهور، بدأت الغيوم تنقشع رويداً رويداً لتظهر شمس الخريف الباهتة اللون.

وكانت قطرات المطر تتلألأ على الاوراق كما تتلألأ حبات الفضة. وكان لون البحر، فيما وراء سور الحديقة، يتبدل من الرمادي الى الازرق الغامق.

واستندت موراغ الى السور الحجري وحدقت الى الافق البعيد، وهي غارقة في تأملاتها عبر التاريخ القديم، حين كان ذلك الشاطىء

موطئاً لاقدام الغزاة الابطال، ذوي الشعر الذهبي والعيون الزرقاء.

وقطع حبل تأملاتها ضجيج محرك سيارة، فتطلعت من فوق السور، فاذا بسيارة صغيرة حمراء اللون تعبر من امامها بسرعة، وتستدير عند المدخل، وتقف بازاء الرصيف خارج الباب الامامي. وفتح باب السيارة، فخرجت ساقان طويلتان تلبسان سروالاً غامق اللون، ثم تبعهما رأس ديفيد هاكيت وهو ينزل بصعوبة من مقعد السائق. وما ان اغلق باب السيارة حتى عادت موراغ مسرعة الى متابعة بحثها عن الاوراق البرية، آملة ان لا يكون رآها مختبئة بين شجيرات الحديقة. ولكن املها خاب. ذلك انه رآها، فحيّاها وقال لها:

«لمحتك تتطلعين من فوق السور. فلماذا انت مختبئة؟».

فاجابت موراغ:

«مختبئة؟ كلا. انا اجمع بعض الاوراق البرية».

وخرجت من وراء احدى الشجيرات الى الممر ووقفت قبالته، وهي تحاول ان تضبط اعصابها وتظهر بمظهر اللامبالي. والواقع ان حضوره جعل قلبها يخفق خفقاناً سريعاً.

وحدقت موراغ الى ديفيد، من دون ان تبتسم، فلاحظت ان اطراف شعره الذهبي حجبت فكّيه وفمه، وان بشرة وجهه باهتة اللون وبياض عينيه يشوبه الاحمرار. على ان ابتسامته كانت جذابة الى اقصى حدّ.

وقال لها ديفيد:

«كنت اتمنى ان تكون تحيّتك لي اكثر حرارة وودّاً. ولكن لا بأس. فانت رائعة الحسن».

وبذلت موراغ جهدها لتتجاهل نظرته المغرية وكلامه المليء

بالمديح، لأنها عزمت على التصرّف معه تصرفاً لا مجال فيه للعاطفة، فقالت:

«اخبرنا بيتر انك قد تعود الى الفندق متأخراً هذه الليلة. فهل تريد ان تتناول طعام الفطور قبل ان تأوي الى فراشك؟».

فأجابها ديفيد:

«نعم، وخصوصاً اذا كنت انت هي التي ستقدمه اليّ».

وتطلع عبر سور الحديقة وتابع قائلا:

«ما اجمل هذا المنظر. انت محظوظة بالاقامة في مثل هذا المكان. هل انت من هواة السفن الشراعية؟».

قال ذلك بنبرة سريعة تنم عن اهتمام صادر من صميم قلبه فأجابت موراغ:

«نعم، في الصيف. والآن، اسمح لي ان اذهب لأخبر امي بأنك هنا، كي تهيىء لك طعامك».

فسارع ديفيد الى القول:

«لا. لا تفعلي. انت اختبأت عندما رأيتني، ثم تحاولين الآن الهرب مني».

وامسكها بذراعها وقال:

«لست جائعاً الى الحدّ الذي لا يسمح لي ان اسألك بعض الاسئلة واتمتع بهذا النسيم العليل. فانا اريد ان تخبريني ما هي اسماء تلك الجزر هناك، على مسافة من الشاطىء».

ولكن موراغ ابت ان تلين، فانتزعت ذراعها من يد ديفيد واخذت تردد اسماء الجزر بصوت صارم جاف. ولكن ذلك لم يؤثر في موقفه منها، بل زاده حماسة في متابعة الحوار معها، فقال:

«اخبرني بيتر ان المناظر الطبيعية هنا لا مثيل لها، ولكنني لم اصدقه

بادىء الامر. فالبارحة تنزهت بسيارتي في طريق الشاطىء، فما رأيت غير المطر والضباب، اسمحي لي ان اسألك عن تلك الجبال التي يشاهدها المسافر نحو الشمال!».

وكان من المحال ان تتجاهل موراغ اهتمامه الظاهر المخلص بما يتحدث عنه، فاضطرت الى الرد على اسئلته.

ثم قال لها ديفيد:

«لا شك انك تحبين الاقامة هنا».

فاجابت موراغ:

«لا بأس بالاقامة هنا في الصيف، حين يجيء الزائرون. ولكن في الشتاء يعم الهدوء ولا يحدث شيء يذكر. وذلك يبعث الضجر. فانت ترى ان الذين في سن الشباب قليلون هنا... لأن معظمهم يذهبون الى العمل في المدن».

ونظرت اليه موراغ بحياء، ثم مالت بنظرها عنه وسارت نحو الفندق بعصبية ظاهرة، فسار ديفيد بجانبها وقال:

«لا اعتقد، يا موراغ، ان هذا المكان يبعث الضجر. لا هذا المكان ولا سواه... فهو يكون كما يصنعه الانسان. ولعلك من حداثة السن، بحيث لم تتوصلي بعد الى معرفة هذه الحقيقة».

فقالت موراغ بحدة:

«انت تتكلم كأنك شيخ طاعن في السن!».

ضحك ديفيد اعجاباً وقال:

«اظن انك في حوالى العشرين من العمر، فانا اذن اكبر منك بعشر سنين... واكثر منك خبرة في الحياة بما لا يقاس... ولم يبق لي الا قليل من البراءة!».

قال ذلك مداعباً، ثم تابع كلامه بجدّ مظهراً لها ان دارليغ لا

يمكن ان تكون مكاناً مضجراً، ما دامت تقيم فيها.

وهكذا مارس ديفيد براعته المعهودة في اجتذاب النساء اليه. وكانت هذه البراعة تتلخص في انه كان يجعل المرأة حائرة بين الشك في صدقه واليقين.

لذلك لم تهتم موراغ ان تجيب، بل فتحت الباب ودخلت الى البهو الخارجي. وتجاهلت وجوده معها، فذهبت الى اناء نحاسي كبير على طاولة التلفون وتناولته لتضع فيه الزهور والاوراق التي جمعتها في الحديقة.

فقال لها ديفيد:

«لا بد ان يكون هنا نشاط ما تساهمين فيه خلال فصل الشتاء!».

فاجابت:

«نعم، خصوصاً اذا سقط الثلج. ولكن ليس هنا على الشاطىء، وانما هناك في الجبال، حيث يمكننا ان نتزلج».

فقال ديفيد:

«نعم، التزلج! فكيف سها عن بالي؟ ارجو ان تأخذيني معك عندما يسقط الثلج. فانا احسن التزلج، ولكن لا اعدّ نفسي من ابطاله».

وتثاءب ديفيد فجأة وفرك عينيه. كان تعباً جداً، فالافضل له ان يذهب الى النوم بدل ان يتابع الحوار مع موراغ من دون جدوى.

وهذا ما خطر ببال موراغ، وقد اخذت تشعر نحوه بشيء من التقدير. فقالت له:

«الا تعتقد انك يجب ان تأوي الى فراشك يا سيد هاكيت؟».

فهز رأسه موافقاً وقال:

«نعم. وسأستغني عن تناول طعام الفطور وأذهب الى النوم،

ولكن شرط ان تناديني ديفيد، وان تأخذيني معك الى التزلج على الثلج عند اول فرصة».

فلم يسع موراغ الا الابتسام، وهي تقول له:

«يا لك من رجل ملحاح! حسناً، اعدك يا... ديفيد. والآن اذهب عني!».

ومرّ الأسبوع مروراً خاطفاً، وكان من عادته ان يتباطأ ويجري على وتيرة واحدة، وذلك بفضل وجود ديفيد.

وكان ديفيد يروح ويجيء الى الفندق على هواه، فيحضر لتناول طعام الفطور في التاسعة او العاشرة صباحاً وهو ناعس العينين، من دون ان يفارقه المرح. وكانت موراغ تخجل في باديء الامر ان تدخل غرفته لتوقظه من قيلولة بعد الظهر، ولكنها اعتادت على ذلك. ووجدت انها، مهما صرخت ونادته باسمه، لم يكن ليستيقظ من سباته العميق. فكان عليها ان تهزه بكتفه، حتى اذا فتح عينيه هربت مسرعة من الغرفة قبل ان يبادر الى التحدث اليها.

فما ان ينهض ويلبس ثيابه حتى يندفع الى المطبخ، وعبثاً قالت له موراغ بلباقة ان في الفندق غرفة خاصة بالنزلاء، وعليه ان ينتظر فيها الى ان يتم تهيئة الطعام في الغرفة المعدة له. ولكنه لم يقبل بكلامها، بل اصرّ على الحضور الى المطبخ الدافىء حيث كان يتجاذب اطراف الاحاديث مع جين عن اسفاره ومغامراته. وكان يلمّح الى انه طاه ماهر، فيصف بعض الاطعمة الغريبة. وكانت جين، كعادتها في حسن الضيافة، ترضى بجلوسه في المطبخ. على ان موراغ بذلت جهدها لتجاهل وجوده هناك، لا لأنه كان يوجه الكلام اليها كثيراً، بل لأنها كانت، بينها وبين نفسها، تؤخذ بطرافة اقاصيصه وحكاياته. ذلك انه شاهد كثيراً في اسفاره ولقي عديداً من الناس

الذين يثيرون الفضول والاهتمام. وكانت موراغ، في كل يوم، تعزم على مغادرة الغرفة حالما يدخلها. ولكنها كانت تجد نفسها مسمرة في مكانها، بفعل الاثر الذي كانت تتركه في نفسها احاديثه الشيقة عن اقطار غريبة كم كانت تود ان تتاح لها فرصة زيارتها، للتعرف اليها عن كثب.

وفي مساء يوم الجمعة ذهبت موراغ لزيارة صديقتها كاتي، في الجانب الآخر من دارليغ، وكانت النجوم قد بدأت تشع في السماء مع الانوار التي كانت تنطلق من المحطة عبر الخليج. وكان المنظر ساحراً حقاً، فتذكرت موراغ كيف ان الاهلين عارضوا انشاء المحطة خوفاً من ان تشوه جمال تلك المنطقة. ولكن معارضتهم هذه لم تنجح، نظراً الى الفوائد التي كانت ستسفر عنها. ومن ذلك ما نعمت به المنطقة من ازدهار نتج عن كثرة المهندسين والخبراء القادمين اليها لبناء المحطة، وعن تشغيل الايدي المحلية العاملة فكان ان زالت كل معارضة، خصوصاً بعدما تبيّن ان المحطة لم تكن تظهر بازاء التلال الخضراء وراءها. على انها في الليل كانت تبدو كقصر سحري تتلألأ اضواؤه فوق مياه البحر الداكنة.

كانت كاتي فتاة سمراء صغيرة القامة طليقة اللسان. فما كادت موراغ وصديقتها الاخرى آن روس تجلسان في غرفة الاستقبال حتى بادرت كاتي الى سؤال موراغ عن رأيها في ديفيد. فتعجبت موراغ كيف علمت كاتي بمجيئه، ولما استخبرتها اجابت بان جوني قال لها ان ديفيد جاء بديلا عن مديره الذي اقعده المرض، وانه رجل قدير جداً، فضلا عن ان الفتيات كلهن يقعن في غرامه.

فقالت آن: «لا استغرب ذلك» وازاحت جدائل شعرها الاسود الطويل عن وجهها. اجابت موراغ:

«كيف تقولين ذلك؟ هل تلاقيتما؟».

«نعم. كنت في الطريق انتظر الباص، فنقلني في سيارته وهو عائد من المحطة. ما اسعد حظك يا موراغ، لأنه عندك في الفندق. لو كنت مكانك لترنحت غراماً كلما دخل من الباب!».

وقطبت موراغ جبينها وهي منكبة على تطريز ثوب العرس الذي بين يديها. وفكرت في نفسها ان آن مثال الفتاة التي تقبل بأن ينقلها رجل غريب في سيارته. وخيّل اليها ان ديفيد المحدث البارع، وآن الجريئة الوقحة، وجدا الكثير مما يجمع بينهما.

وقالت آن:

«هيا يا موراغ! اخبرينا عن ذلك الفتى الرائع الذهبي الشعر».

فاجابت موراغ:

«لا شيء اخبركما به عنه سوى انه لا يروق لي».

فقهقهت آن ضاحكة وقالت:

«هذه صراحة عرفت عنك. ولكن، لماذا لا يروق لك؟ هل حاول ان يغازلك؟».

فلمعت عينا موراغ احتجاجاً على طريقة التعبير واجابت:

«انا افضل الرجال الصادقين الذين لا يستخدمون المبالغة في المديح ولا النفاق في الاطراء!».

فقالت آن ساخرة:

«ها ها! اذن، فهو يحاول معك هذا الاسلوب في الاغراء! وهو اسلوب غير ما تعودته من آندي. فلا عجب ان تضطربي وتستنكري. واسمحي لي ان اسألك: هل آندي قادر على الكلام؟ فانا لم اسمع منه سوى الجعير».

وهنا صاحت كاتي في وجه آن قائلة:

«كفى يا آن. انت ترعجين موراغ بهذا الكلام».

فقالت آن:

«آسفة. قد اكون محسودة منك يا موراغ. فالفتى الذهبي لم ينطق الا بالقول لي: «اين تريدين ان تنزلي؟». هذا مع العلم انني حاولت الفوز باعجابه. ولكنني اظن انه صياد نساء ماهر، فخذي حذرك منه!».

ورأت كاتي ان الحديث عن هذا الموضوع قد طال وحان تغييره، فاقترحت ان تسمع صديقتيها اغنية جديدة صدرت حديثاً.

وانقضى ما تبقى من السهرة على خير ما يرام، فكن يخطفن ويصغين الى الموسيقى. وانضمت اليهن السيدة بار، والدة كاتي، فقدمت اليهن القهوة والفطائر. وعند الساعة العاشرة والنصف نهضت موراغ مودعة واسرعت الى الشارع عائدة الى الفندق مشياً على قدميها.

وكان وقع خطواتها يسمع في تلك الطريق الخالية، وهي تستعيد كلام آن الساخر عن آندي. وعبثاً تمكنت ان تبعث آندي في ذاكرتها، فبقي طيفاً لا شكل له ولا رسم. ومالت الى الاعتقاد انه يفتقر الى فن المحادثة والحوار، ولكنها لم تتوقع منه غير ذلك يوماً من الايام. فالكلام يقل بين اثنين تصاحبا منذ ايام الدراسة الابتدائية، فضلاً عن ان الاسكتلنديين قوم طبعوا على الخجل وصعوبة التعبير.

على ان بينها وبين آندي كثيراً مما يجمع ولا يفرق. فكلاهما يحب السير على الاقدام، وركوب الزوارق الشراعية، والسباحة، والتزلج على الثلج. وكانت علاقتهما صميمة، ولو لم يطلب يدها للزواج منه. غير انه سيفعل حين يعود في العيد، وستجيبه الى طلبه، وكل شيء سيجري على ما يرام. وسيعيشان سعيدين في بيتها الصغير في

دارليغ. وحين يسافر للعمل، من وقت الى آخر، تبقى وحدها بانتظار عودته.

هكذا كانت موراغ تفكر وهي تسير نحو البيت. ولم يقطع عليها حبل تفكيرها غير وقوف سيارة بجانبها وصوت ديفيد يقول لها: «اصعدي».

فترددت موراغ في القبول. لم تكن تريد صحبته، ولكنها كانت من جهة اخرى ترغب في التخلص من التفكير في آندي ومستقبلها معه. ولم يخف على ديفيد ترددها، فقال لها ساخراً:

«اذا كنت تفضلين السير على قدميك فلا بأس. لن يزعجني رفضك!».

وادركت موراغ انها اساءت التصرف معه مرة اخرى، فما كان منها الا ان انحنت وصعدت الى السيارة وهي تقول له:

«كيف عرفتني في هذه العتمة؟».

فأجابها ديفيد:

«عرفتك من ساقيك!».

وحين ابدت استنكارها، قال لها ديفيد:

«ما الخطأ في ذلك؟ فساقاك جميلتان جداً. وهذا نادر في هذه الايام، وانا اتمنى ان لا تغطيهما دائماً بالسروال».

ولم تكن موراغ معتادة على سماع مثل هذه الملاحظات الخصوصية، فلزمت الصمت، مما دفع ديفيد الى مزيد من المداعبة، فقال:

«ارى انك اضطربت من كلامي، وهذا نادر ايضاً. . . واريد ان اسألك: لماذا تكرهينني؟».

وحارت موراغ بماذا تجيب، وكيف تكافح رجلا كهذا.

وتابع ديفيد قائلاً:

«كوني صريحة. لا تشفقي علي ولا تكذبي. فنظراتك المعادية لي تفضحك. وهي تجعلني اهتز وارتجف... فانا لم اتعود ان اكون مكروهاً من احد... ما بك لا تتكلمين؟ هل فقدت لسانك؟».

فثارت موراغ لهذا التحدي. وجاءت الكلمات قاسية جارحة على لسانها، فقالت:

«انا لا اميل اليك... لأنك وسيم الطلعة، وانت تعرف ذلك، ولأنك حلو المعشر وشديد الثقة بنفسك. تكيل المديح للناس، في غفلة منهم، كما تفعل مع والدتي، على امل ان تكسب رضاهم فتنال ما تريد. فانت مغرور وأناني. ولا شك ان لك عشيقات في كل مكان، وهمك ان تقنع كل واحدة منهن انها هي المفضلة. ولكن الحقيقة هي انك لا تحب احداً الا نفسك... فكيف تنتظر مني، وهذه حالك، ان اميل اليك واعجب بك؟».

قالت موراغ هذا الكلام الشديد اللهجة وجلست تنتظر ردة فعله بخوف ورعدة.

وساورها الندم على ما اظهرته من عجز عن ضبط نفسها. اما كان من الافضل ان تكبت عواطفها وتحتفظ برأيها، فلا تعطيه مبرراً لمهاجمتها بكلامه اللاذع؟

ولكن، كم كانت دهشتها شديدة حين قال لها، بعد صمت طويل، وبضحكة زادت في اثارة غيظها واستنكارها:

«ليتك يا موراغ تعلمين كم انت طريفة ومنعشة للروح! اما قال المثل: خذوا اخبارهم من صغارهم؟ وها انت الآن تبدين رأيك فيّ، ولم يمض على معرفتك بي اكثر من اسبوع. ولكنك على صواب. فانا اعرف اني رجل وسيم، وارجو ان اكون ايضاً حلو المعشر. وانا ابذل

جهدي لاكون لبقاً في تصرفاتي، فابتسامة هنا وكلمة مهذبة هناك تعين على تخفيف اعباء النهار. اما ان اكون مغروراً، فهذا ما لم اتأكده بعد... فانا نشأت في عائلة لها خمسة بنين، وكان عليّ ان اكافح للحصول على ما اريد. اناني انا؟ ربما. فمعظم الرجال انانيون... هل كان لي عشيقات كثيرات؟ نعم، لماذا لا؟ انا انسان من لحم ودم. ولكني ما اسأت الى اية واحدة منهن».

وشعرت موراغ انها، بعد هذا الكلام، كبالون منفّس. فتحليله الممتع لرأيها فيه اثبت لها انها لا تزال فتاة مراهقة تعوزها الرهافة وعمق النظر. واذا كانت قد قصدت ان تجرحه بكلامها، فانها لم تنجح هذه المرة ايضاً.

وسألت موراغ نفسها:

«اما من طريقة تتغلب بها عليه؟».

وفي الدقائق الاخيرة، قبل وصولها الى الفندق، شعرت موراغ بانها تكرهه اكثر من اي وقت مضى. فدهشت لذلك اشد الدهشة. وحين وصلا، اوقف ديفيد السيارة واطفأ المحرك وفتح لها الباب، فشكرته موراغ بصوت خافت فقال لها:

«لا انتظر ان أنال منك اكثر من الشكر، نظراً الى رأيك السيء فيّ. وهذا مؤسف ولكن القناعة كنز لا يفنى!».

واخطأت موراغ حين ادارت وجهها نحوه، لأنها بذلك جعلت وجهها قريباً جداً من وجهه. وحاول ديفيد ان يغتنم الفرصة، ولكن موراغ تراجعت بسرعة ونزلت من السيارة واتجهت نحو البيت. فلحق بها وهي تدخل البهو، وقال لها بلهجة عادية، كأن شيئاً لم يكن:

«ما اجمل هذا البيت. هل اقمت فيه دائماً؟».

فهدأت هذه اللهجة الحميمة من غضبها، فلم يسعها الا ان تجيب:

«نعم. هذا البيت لعائلة والدي، حوّلته الى فندق منذ بضع سنوات. . . وحين مات والدي اصبح مورد رزق لنا».

قال ديفيد:

«فكرة رائعة، فأمك طاهية ماهرة».

وحانت منها التفاتة فرأته يفتح باب غرفة الاستقبال مما سرّها لأنها تتخلص منه هكذا. ولكنها ما ان تابعت سيرها نحو المطبخ، حتى ناداها قائلا:

«قفي يا موراغ. انتظريني».

وفي لمحة بصر كان يمشي الى جانبها مرة ثانية، وهو يقول لها:

«لم اجد بيتر في غرفة الاستقبال. هل تعرفين اين يمكن ان يكون الآن؟ لا اظنه ذهب الى الفراش».

فاجابت موراغ:

«لعله في المطبخ مع امي».

فظهرت عليه الدهشة، ولكنه سرعان ما رفع احد حاجبيه الذهبيين وقال بخبث:

«هاها. . . هكذا اذن!».

فقالت موراغ بانزعاج:

«ماذا تعني؟ لا افهم ما تقول».

فاجابها ديفيد مداعباً:

«تمهلي قليلا. هل يتردد بيتر الى المطبخ كثيراً؟».

فقالت موراغ:

«نعم. كل ليلة تقريباً». . . .

صمت ديفيد قليلا، ثم قال لها بهدوء:

«كان عليّ ان انتبه الى ذلك حين مدح لي هذا الفندق كثيراً. والآن انتظري حتى اجتمع به على انفراد».

فصاحت موراغ وقد هالها ما لاح على وجهه الوسيم من دلائل الخبث:

«لا. لا تفعل. اياك ان تهزأ بهذا الأمر. . . اعني صداقة امي مع بيتر. . . ارجوك ان لا تذكره لبيتر او لأي انسان».

فقال ديفيد:

«كما تشائين. يا لك من فتاة حساسة!».

وهنا خيّل الى موراغ ان هذا الرجل الغريب الاطوار يعرف بيتر معرفة عميقة، فلعله يخبرها عنه ليخفف من قلقها. وهكذا تناست خشونتها معه وقالت له بجرأة لا تخلو من الحنان:

«ديفيد. . . اريد ان اتحدث اليك بجدّ هذه المرة، فاسمع. انت تعرف بيتر منذ سنوات، فهل هو صادق وشريف مع النساء؟».

وتجاوب ديفيد مع هذا التحوّل في عاطفتها نحوه، فاجابها بكثير من الجد:

«لا تقلقي على امك يا صغيرتي، لأن بيتر من افضل الرجال. فهو دائماً يعمل الشيء المناسب في الوقت المناسب. وانا اعتقد انه وامك حين يكونان زوجين سعيدين!».

فتنهدت موراغ لكلامه ببعض الارتياح، ولكنها ارادت مزيداً من الاقتناع، فقالت:

«وهل تظن ان ذلك ممكن؟ اعني وقوعهما في الحب. فلم يمض على وفاة والدي وقت طويل، وانا لا اقدر ان افهم كيف تطيق ان يحلّ

احد مكانه!».

فرماها بنظرة عميقة، وتمهّل قبل ان يقول:

«هذا حديث مهم جداً، اقترح ان نتابعه بعيداً عن المكان الذي يوجد فيه بيتر وامك!».

وجلسا على احدى درجات السلم الذي يقود الى الطبقة العليا، فيما الموسيقى تنبعث خافتة من غرفة الاستقبال.

فقال ديفيد:

«هل تحدثت مع امك عن هذا الامر؟».

فأجابت موراغ:

«كلا. كنت انتظر ان تقوم هي بالمبادرة. هذا مع العلم اني لم الاحظ ذلك الا اخيراً. وكنت غير متأكدة. ولا اظن انه من السهل ان تسأل البنت امها عن امر كهذا. فقد يثير استنكارها».

فقال ديفيد:

«الا تظنين ان استشارة رجل غريب مثلي تدعو الى التساؤل؟ خصوصاً وانت لا تعجبين بي».

فاحمرّت وجنتاها لهذه الملاحظة، وآثرت ان لا تواجه نظراته الحادة، فقالت له:

«لا تنس انك الشخص الوحيد الذي لاقيته ويعرف بيتر حق المعرفة!».

فقال ديفيد:

«حسناً. والآن اريد ان اسألك: هل كنت متعلقة بأبيك؟».

فأجابت موراغ:

«نعم. كان رجلا رائعاً، وعلمني الكثير. وانا افتقده جداً».

فقال ديفيد:

«حسناً. واظن ان امك تفتقده جداً ايضاً. واذا كانت تحب بيتر، فهذا لا يعني انها نسيت اباك».

وتوقف قليلا عن الكلام، وهو يحدّق في السجادة التي امامه، ثم تابع قائلا:

«هناك في رأيي عدة انواع من الحب. فمن الممكن، مثلا، ان يحب الانسان شخصين في الوقت نفسه. ولعل بيتر ووالدتك حين يمران الآن في تجربة حب من النوع الذي تفضلينه انت، اي الحب الذي يؤدي دائماً الى السعادة الزوجية. فهما على جانب عظيم من النضوج، وكلاهما بحاجة الى المعاشرة... بيتر تزوج وفقد زوجته من دون ان تلد... وكان زوجاً صالحاً. واذا تزوج والدتك حين فيكون خير معين لك. وهو في النهاية افضل مني، انا الطارق الغريب!».

وبعد ان نظر اليها مبتسماً، تابع قائلا:

«ارجو ان اكون اعنتك بعض الشيء... فكأنما انا بنصائحي رجل في السبعين من العمر».

فأجابت موراغ:

«انت رجل متفهّم وعمليّ... وأنا اشكرك على ما فعلت. واظن انك على حق في ما قلت، كل ما في الامر هو اني انانية ولا اطيق ان يشاركني احد في محبتي لأمي».

فقال لها ديفيد:

«ولكنك ستتزوجين قريباً، على ما علمت، فلماذا تنكرين السعادة لغيرك؟».

قال هذا ومدّ ساقيه الطويلتين على درجات السلم، فيما اسند ذراعيه على الدرجة وراءه. وكانت موراغ جالسة بازائه، فراحت

تتأمل وجهه وهو يحدق الى الامام وبدا لها ان وجهه يشع ذكاء، وان ملامحه تجمع بين الصفاء والبشاشة.

ثم قالت متعجبة:

ومن اخبرك انني سأتزوج قريباً؟».

فأجابها:

«بيتر اخبرني. وعلمت منه ايضاً ان العريس الآن على ناقلة نفط في عرض البحر، وسيعود في العيد المقبل».

فقالت، وهي شاردة الذهن:

«نعم. ويا ليتني اعرف عن الحب قدر ما تعرف!».

وتذكرت موراغ انها كانت لا تطيقه من قبل، وأما الآن فانها تشعر وهي الى جانبه بالراحة والطمأنينة. ذلك انه كان يوحي اليها بالعزم وشدة البأس، بخلاف آندي الذي عرفته منذ سنين. وهكذا عادت اليها المشكلة القديمة: هل تحب آندي حقاً؟

وهنا نهض ديفيد وامسك بيد موراغ لينهضها وهو يقول:

«حان لي الآن ان ارى بيتر».

وكانت لهجته جافة لأن سؤالها لم يرق له، ولأنه أحس انها تحاول به ان تتعرف الى حياته الخاصة. ولم يكن في ذلك اي حرج، الا انه ارادها ان تعرف انه يعاني مشاكل اهم مما يعنيه سؤالها بكثير. فهي في آخر الأمر لم تكن في نظره سوى فتاة طيبة، صادف انها في البيت الذي يقيم فيه مؤقتاً.

ولاحظت موراغ انه انزعج من سؤالها، فأحست بالمذلة. وكادت عيناها تغرورقان بالدموع وهي تتبعه في نزوله درجات السلم، حتى اذا وصلا الى ارض الغرفة التفت اليها فجأة ونظر في عينيها قائلا:

«خففي عنك. لا تأخذي هذا الامر بكثير من الجد... فأنا لا

ازال اعتقد ان لك ساقين لا مثيل لهما في هذه الانحاء!».

قال هذا وتركها وسار في الرواق.

ووقفت موراغ على درجة السلم وهي تفكر هل ان ما بدر منه نحوها من لطف ومودة كان حقيقياً ومخلصاً. وشعرت في تلك اللحظة كم كانت حائرة وشاردة الذهن.

٣ - رأس على كتف

عزمت موراغ ان تفاتح والدتها جين في امر علاقتها ببيتر، ولكن في غضون الأيام السبعة التالية لم يكن في الفندق هدوء يتيح لها ذلك.
ففي يوم السبت جاء ثلاثة رجال، كان بيتر قد سارع الى استعارتهم من محطة كهربائية مجاورة. وبالاضافة اليهم نزل في الفندق اربعة اعضاء في مؤتمر اقيم في فندق مجاور لم يتسع لهم. فانشغلت جين وابنتها موراغ الى اقصى حد، بحيث لم يكن لديها متسع من الوقت للتحدث عن اي شأن خاص.
ودامت الحال كذلك الى يوم الجمعة التالي، حين غادر النزلاء الفندق وعادت الحياة الى مسارها الطبيعي.
وذات ليلة عادت موراغ الى الفندق من زيارة لصديقتها كاثي فما

ان دخلت حتى وجدت والدتها جالسة في كرسيها المعتاد، فقالت لها وهي تجلس بجوارها:
«ما اجمل هذا الجو الهادىء!».
فقالت جين:
«نعم. كم انا سعيدة ان اجد بعض الوقت أقضيه على انفراد... كان على بيتر ان يعود الى المحطة، ومنذ حين اتصل ليقول انه سيتأخر، هو وديفيد، الى الساعة الحادية عشرة والنصف. وانذرني ان ديفيد سيكون جائعاً في ذلك الوقت، ويتمنى ان يتناول شيئاً من الطعام».
فقالت موراغ:
«الأكل والنوم... هذا ما كانا يفعلانه طوال هذا الاسبوع! هل كان العمل الذي يقومان به على مثل هذه الاهمية؟».
فأجابت جين:
«تعطلت بعض اجزاء المحرك في المحطة، فكان من الضرورة اصلاحها».
ثم تابعت كلامها قائلة:
«كيف حال كاثي؟».
فقالت موراغ:
«تثرثر كالعادة. تعيّن يوم عرسها في الثاني والعشرين من كانون الأول (ديسمبر)!».
فقالت جين:
«هل تكون ثياب العرس جاهزة في ذلك الوقت؟».
فأجابت موراغ:
«بكل تأكيد. وسيقضي العروسان شهر العسل قبل ان يسافرا

الى اميركا الجنوبية، حيث ارسل جوني للعمل هناك. . . هنيئاً لك يا كاتي!».

فسألتها جين:

«هل انت حقاً تحسدينها، يا موراغ؟».

فأجابت موراغ:

«اذا كنت تقصدين بسؤالك اني احب الذهاب مع زوجي الى اقاصي الأرض، فالجواب نعم. هذا مع العلم اني لا امانع ان ذهبت وحدي!».

وتابعت موراغ كلامها قائلة:

«ولكن كاتي لا تهتم ان ذهبت مع جوني او ذهبت وحدها، ما دامت تزوجته. كل ما تطمح اليه هو بيت نظيف مجهز بآلة غسيل وثلاجة وسرير ينام فيه طفل!».

فقالت جين بدهشة:

«الا تطمحين انت الى مثل ذلك؟ كنت اظن ان فتيات هذه الأيام يسارعن الى الزواج كأنهن لا يرين في الحياة غير ذلك».

وظهر الشك والارتباك على وجه موراغ وهي تقول:

«في الزواج اكثر مما تطمح اليه كاتي. ولو كنت زوجة جوني لاردت ان اذهب معه حيثما يذهب. فأنا افضل ان اكون مع زوجي واشاركه حياته على ان اقعد في البيت وانتظر عودته. وكاتي تتمنى ان يقوم بوظيفة غير وظيفته الحالية. . . وظيفة تبقيه في البيت ولا تجبره على السفر طويلاً من حين الى آخر. وهي تحاول ان تدبر هذا الأمر منذ الآن».

فقالت جين:

«يظن كثيرون ان من واجب المرأة تدبير شؤون زوجها

ومساعدته، في عمله!».

فاستدركت موراغ قائلة:

«نعم. ولكن يجب ان لا تحاول تغييره وجعله غير ما هو!».

وتوقفت عن الكلام، اذ خطر لها ان الفرصة اتيحت لها الآن لمكاشفة أمها في موضوع العلاقة التي تربطها ببيتر. ولكنها قبل ان تجمع افكارها للبدء بذلك، طرق الباب ودخل بيتر الى الغرفة.

فقالت جين:

«اراك عدت بعد طول غياب! قل لديفيد ان يحضر لتناول طعامه». والتفتت الى موراغ وقالت لها: «هيئي المائدة من فضلك!».

فأطاعت موراغ وهي منزعجة من مجيء بيتر في اللحظة التي حاولت فيها ان تتحدث عن العلاقة التي تربط امها به.

وقال بيتر:

«ذهب ديفيد ليغتسل، وسيحضر حالاً». والتفت الى موراغ قائلاً: «كيف حالك يا موراغ؟ افتقدتك كثيراً هذا الاسبوع».

فأجابت موراغ:

«انا على ما يرام. انشغلنا كثيراً هذا الاسبوع. وانت، هل انهيت العمل في العطل الذي طرأ على المحرك الكهربائي في المحطة؟».

فقال بيتر، وهو يمد ساقيه بارتياح صوب الموقد:

«كلا، مع الأسف. لكن المرحلة الصعبة اجتزناها، ونأمل ان ننجز العمل كله يوم الاحد».

وفي هذه الاثناء كان ديفيد يأكل بصمت، وعلى وجهه تلك الملامح الهادئة، الصافية التي بدأت موراغ تفهمها وتعجب بها. ومع

انها اخذت تعتاد عليه، الا انه كان لا يزال يملك القدرة على ان يجعلها تشعر بالحرج والارتباك، خصوصاً حين كان يجلس في المطبخ واثقاً بنفسه، كمن له كل الحق ان يكون هناك. ومن هذه الناحية كان، في نظرها اسوأ من بيتر.

وفجأة قال ديفيد مخاطباً بيتر:

«افسدت عليّ خطتي، يا بيتر. كان «رون» سيأخذني الى السباق غداً».

فأجابه بيتر:

«هاها، انضممت الى المجموعة، اذن. كنت اظن انك لا تفعل، لان اقامتك هنا لن تدوم طويلاً».

فقال ديفيد:

«انت تعرفني جيداً. فأنا انضم الى اي شيء. الحياة يجب ان تعاش، والمغامرة هي من طبعي».

فأجابه بيتر بلهجة جافة:

«هذا ما لاحظته فيك. ولكني ارفض ان اتحمل اللوم، لأنك انت هو الذي بلغت به الحماسة حداً دفع العاملين في المحطة الى العمل المضني، طوال الاسبوع بغير انقطاع».

فقال ديفيد ساخراً:

«وانت تعلم جيداً انك لهذا الغرض جئت بي الى هنا... فلماذا هذا النفاق؟».

فقال بيتر، محاولاً تغيير الموضوع:

«فليكن، ولكن متى سيجري السباق؟ غداً؟».

فأجاب ديفيد:

«بعد الظهر، ثم نعود لتناول طعام العشاء في احد المطاعم.

فهل تعرف احداً يرافقني بدلاً من رون؟».

فسارع بيتر الى القول:

«موراغ ترافقك!».

فرفعت موراغ رأسها وكانت تتصفح مجلة نسائية، فسألها ديفيد اذا كانت توافق على اقتراح بيتر.

ولكن قبل ان تجيب صرح بيتر بحزم:

«نعم، هي توافق على اقتراحي!».

فقالت موراغ:

«يا ليت... ولكن علي ان اساعد امي!».

كان هذا العذر اول ما تبادر الى ذهنها. فهي لم تكن تميل الى ديفيد الذي كان ينظر اليها كمراهقة. ثم انها كانت على موعد مع شلة من الرفاق للذهاب الى غلاسكو للرقص في احدى الحانات.

فقالت لها جين:

«عذر اقبح من ذنب! كيف لا يمكنك الذهاب مع ديفيد اذا كان في ذلك خدمة له؟ سمعتك مراراً تتمنين الذهاب الى سباق السيارات، والآن جاءتك الفرصة».

والتفتت الى ديفيد وتابعت كلامها قائلة:

«ستذهب معك يا ديفيد، فهي تحب ذلك».

وقدمت الى موراغ فنجاناً من الشاي واشارت عليها بأن تجلس مع ديفيد، ريثما تغسل الصحون. فحدقت اليها موراغ، وعلى وجهها دلائل التمرد. فقلما امرتها امها بمثل تلك الشدة من قبل.

وقال بيتر، وهو يفرك يديه فرحاً:

«تم الاتفاق، اذن».

فقالت موراغ:

«يبدو انكما، انت وامي، تريدان التخلص مني غداً. . . انا لا اعرف شيئاً، عن قيادة سيارات السباق. فمن الافضل ان تجد لديفيد احداً غيري».

قالت هذا ونظرت الى ديفيد نظرة عدائية، فلعله يرفض ان ترافقه. ولكنه تقبل نظرتها بهدوء ولا مبالاة وهو يرشف الشاي.

ثم قال لها:

«سآتي لاصطحبك غداً في الحادية عشرة صباحاً، بعد ان اكون قد فحصت السيارة. فالسباق سيبدأ ظهراً. البسي ثياباً دافئة وانتعلي حذاء سميكاً».

والتفت الى جين متابعاً كلامه:

«وانت يا جين، ارجوك ان تحضري لنا بعض الطعام كزاد لنا».

فصاحت موراغ باحتجاج:

«ولكني لم اوافق على الذهاب معك!».

فقال ديفيد ضاحكاً:

«اعرف انك لم توافقي، ومع ذلك فأنت تموتين شوقاً لتظهري براعتك في قيادة سيارة السباق، فضلاً عن انك لن تخذليني بعدما قمت بالترتيبات اللازمة». . . .

فجعلتها سخريته هذه تشعر، مرة اخرى، كم هي حمقاء. كان الحق معه. فهي راغبة كل الرغبة ان تظهر مهارتها في القيادة، فتبرهن له انها لم تكن صبية ساذجة تعجز ان تتحدى الصعوبات، وانها تميل مثله الى المغامرة وركوب المخاطر.

ولذلك قالت له بخضوع:

«فليكن. ولكن عليك ان تخبرني ماذا علي ان افعل».

فانبسطت اسارير ديفيد، وابتسم ابتسامة حارة اذابت ما كانت

تشعر به موراغ نحوه من عدائية. ثم قال لها:

«انا معجب بك، يا موراغ. واراهن على انك ستكونين اجمل من قادت سيارة سباق غداً. سأذهب واجلب خريطة المكان لننظر فيها معاً، وافسرها لك قدر الامكان».

وفي صباح اليوم التالي جلست موراغ في مقعد السيارة الصغيرة الحمراء، وهي متوهجة الخدين، براقة العينين. كانت السيارة واحدة من نحو عشرين سيارة مختلفة الاحجام والألوان، وقفت كلها في مكان السباق. وكان الطقس داكناً ورطباً، ومياه المطر تتساقط من اغصان الاشجار العالية العارية على سطح السيارة التي جلست فيها موراغ.

وحانت من موراغ التفاتة، من خلال الشباك، الى ديفيد وهو يستفهم من مراقب السباق عن النهج الذي يجب اتباعه. ولم يلبث ديفيد ان فتح باب السيارة وجلس فيها وناول موراغ ورقة مكتوباً عليها بعض التعليمات. ثم ادار المحرك وهو يقول لها:

«استعدي. . . فسننطلق بعد دقيقتين».

وبعد دقيقتين تماماً انطلقا نحو الجنوب، كما كان مقرراً في ورقة التعليمات التي اعطيت لديفيد. ثم اخذت موراغ تشير على ديفيد، بناء على الخريطة التي امامها، كيف يميل والى اين يتجه.

واثار ذلك حماسة موراغ، وبدأ قلبها يخفق بشدة. وحاولت جهدها ان تحتفظ بتوازنها، فيما السيارة تلف منعطفات الطريق على نحو مخيف.

وفجأة مال ديفيد الى جانب الطريق واوقف السيارة وقال لها:

«لندع الآخرين يكملون طريقهم، واما نحن فسنسير الى مكان على الخريطة يدعى «كاسيل دوغلاس»، وهو مطعم، فنتناول الطعام

هناك».

فقالت موراغ:

«ولكن الذهاب اليه يستغرق وقتاً طويلاً!».

فأجابها ديفيد:

«الساعة الآن تشير الى السادسة مساء، وبامكاننا الوصول الى المطعم بعد ساعة ونصف الساعة. واذا اضفنا ساعتين، نتناول خلالهما طعام العشاء، اصبح بمقدورنا ان نصل عائدين الى الفندق بعد منتصف الليل بقليل. وفي اية حال، سنتصل بجين ونخبرها بالأمر حتى لا يشتغل بالها. . . هل توافقين؟».

فانشرح صدر موراغ واومأت بالايجاب.

فقال لها ديفيد:

«استريحي الآن وغني اغنية تخفف من عناء ما كابدناه من مشقة في هذا السباق».

ومع ان السيارة كانت تقفز وتميل يميناً ويساراً في الطريق الوعرة، الا ان موراغ شعرت بالهدوء والمرح بفضل خفة ظل ديفيد، وتساءلت كيف علم انها تحسن الغناء.

وشرعت موراغ بالغناء، وكلما وجدت ان ديفيد يصغي اليها باعجاب ازداد حماسها. وطلب منها ان تردد اغنية تقول فيها الحبيبة لحبيبها انها تأتي اليه اذا ناداها، على الرغم من معارضة الجميع. فلما رددتها قال لها:

«هل تأتين الي يا موراغ اذا ناديتك؟».

ففوجئت بهذا السؤال وعضت على شفتها السفلى غير عالمة بماذا تجيب. فهي في قرارة نفسها كانت تود ان تجيب «نعم». وشعر ديفيد بحيرتها ولم يقلقه صمتها وسكوتها عن الاجابة على سؤاله، وانما آثر

ان يتناسى الأمر، حتى انه لم يطلب منها ان تواصل الغناء.

وحين وصلا الى الفندق لتناول الطعام، بعد كل تلك المشقة، وجداه مفتوحاً وجميل المظهر. كان مشهوراً ويأتي اليه علية القوم من سكان المدن المجاورة. وبدا لموراغ ان الذين يجلسون في غرفة الطعام، والليلة ليلة السبت، لا بد ان يكونوا في اجمل هندام. فقالت لديفيد وهو يوقف السيارة:

«ما لنا وللدخول الى هنا، يا ديفيد!».

فأجابها ديفيد:

«لماذا؟».

فقالت موراغ:

«لأني لا البس الثياب اللائقة».

فنظر اليها ديفيد وهو يطفىء انوار السيارة استعداداً للنزول:

«انت من الجمال بحيث لا شأن لما تلبسين؟».

فتعجبت من مديحه ورمقته بنظرة مشككة فيما يقول. غير انه كان جاداً، فتابع كلامه قائلاً:

«نعم، انا اعني ما اقول، كما هي عادتي».

فاحمرت وجنتاها من شدة الحياء. وسرها ان يطمئنها ديفيد بقوله ان الثياب لا تهم. وتبين لها ذلك حين دخلا الفندق ولقيا ترحيباً حاراً.

ودخلت الى المرحاض، فغسلت وجهها وتزينت ومشطت شعرها وصففته على جبينها العريض الناصع. ونزعت عنها سترتها المبللة وأزالت لطخات الوحل عن سروالها. وكان قميصها الصوف الرائع كافياً لابراز جمالها وزرقة عينيها.

ولما عادت الى غرفة الطعام، حيث كان ديفيد بانتظارها، نهض

لاستقبالها بابتسامة كلها اعجاب.

وكان الطعام لذيذاً، وفي اثناء تناوله اخبرت موراغ ديفيد بكل شيء عن حياتها. وكان هو يشجعها على ذلك بالايحاء اليها ان ما تقوله في منتهى الأهمية. وفي آخر الأمر وجهت اليه هذا السؤال:

«الى اين ستذهب بعد ان تنتهي من عملك في المحطة؟».

ولأول وهلة شعرت بأنها افسدت الانسجام الذي تحقق بينهما، لأن عينيه ضاقتا، وشفتيه فقدتا ابتسامتهما. الا ان ذلك لم يمنع موراغ من الاصرار على معرفة الجواب عن سؤالها، فقالت:

«يقول بيتر انك ستعود الى العمل في مكتب الشركة بلندن، وانك لا تحب هذا النوع من العمل. وانا ارى ان الحق معك لأن لندن كما يقال مكان لا يطاق».

فأجاب ديفيد:

«لندن مكان رائع... وأنت لا تعلمين شيئاً عنها... وسأريك اياها يوماً ما».

فصاحت موراغ:

«هل تفعل حقا؟ انا لا اعرف شيئاً عنها كما تقول... ولكني اشعر بأني لن احب العمل او السكن فيها، او في اية مدينة اخرى. ففي المدن وحشة ووحدة. ومع ان الناس كثيرون، فلا احد منهم يعرف الآخر».

ووضعت يديها على خديها الحارين لتبردهما وتابعت قائلة:

«هل تعتقد اني ثرثرت كثيراً وقلت ما لا خير فيه؟».

فأجابها ديفيد:

«ربما.. ولكن حديثك كان ممتعاً».

فقالت موراغ:

«ولكنك لم تجبني بعد على سؤالي. الى اين ستذهب بعدما تنتهي من عملك في المحطة؟».

فأجابها ديفيد ببرودة:

«لا اعلم. هناك بعض التعقيدات. والافضل ألاّ نتحدث في هذا الموضوع الآن».

فأسكتها هذا الجواب البارد، وبهتت وتوردت وجنتاها. كان، على ما بدا لها، لا يريدها ان تعرف شيئاً عنه.

وتابع ديفيد كلامه قائلاً:

«متى ستتزوجين يا موراغ؟».

فاجأها هذا السؤال الشخصي المباشر، ولم يكن لها بعد اية خبرة في فن المراوغة فأجابت: «غير متأكدة بعد. ليس لدينا ترتيب معين متفق عليه. كل ما في الأمر اني وعدت آندي بانتظاره حتى يعود من سفره، فلا التزم بأحد سواه. وهو وعدني بذلك ايضاً. وسنرى كيف تكون حالنا بعد عودته».

فتمتم ديفيد قائلاً لها ساخراً:

«اي حب هو هذا الحب؟».

فقالت موراغ دفاعاً عن نفسها:

«انت لا تفهم امرا كهذا. انا وآندي ما نزال في مقتبل العمر، ولكن هذا لا يعني اننا سخيفان. فهناك الجانب المالي الذي يجب أخذه بعين الاعتبار... آندي لا يكسب من المال الا قليلاً، وعليه ان يمارس الخدمة بضع سنوات اخرى ليصبح مهندساً كامل الاختصاص. وفي اية حال سنرى عندما يعود، فاذا كان ادخر ما يكفي من المال، قد نتزوج في اول العام الجديد».

فقال ديفيد:

«يبدو لي ان آندي هذا شاب ككل الاسكتلنديين، اعني حذراً وشاطراً، لا يقع بسهولة في حبائل فتاة جذابة مثلك...».

فغضبت موراغ لكلامه وقالت بعصبية ظاهرة:

«الاستهزاء سهل... ولكن عليك ان تأخذ حذرك لأنك انت ايضاً لا تزال اعزب».

فلم تزعج ديفيد لهجتها هذه، بل حافظ على برودة اعصابه واجابها بلطف:

«صحيح، ولكني لم ارد ابداً، ولا مرة في حياتي، ان ابادل حريتي باعباء الزواج... وسأبقى حراً، اروح واجيء ايثما اريد، لا يربطني ولا يقيدني رباط او قيد. اتريدين قليلاً من القهوة؟».

وهكذا كان ديفيد، كما قال لها بيتر، من النوع الذي تحبه وتبتعد عنه. وحين تذكرت هذا القول فقدت بعض السرور من مرافقتها له ذلك اليوم. فهي لم تصاحب في حياتها رجلاً يتحلى بالصفات التي جعلت ديفيد حلو المعشر، بحيث تنسى في صحبته كل ما حولها.

وفيما كانا يشربان القهوة، حاولت موراغ ان تتخيل حال النساء اللواتي احبهن وتركهن، فقالت في نفسها: «حذار ان يفكر انه يقدر ان يضمني الى قائمتهن!».

وفي طريق العودة الى داربليغ لجأت موراغ الى الراحة والصمت بفعل الطعام الشهي الذي تناولته والتعب المضني الذي عانته. وكان رأسها، بجدائله السوداء، يتمايل فيقع احياناً على كتف ديفيد. وكلما وقع هناك استفاقت واصلحت من جلستها، ولكن من دون جدوى.

فقال لها ديفيد متمتماً:

«لماذا لا تتركي رأسك على كتفي؟».

فراق لها ذلك واستجابت له، فألقت رأسها على كتفه وغرقت في سبات عميق.

ولكن ما ان فعلت ذلك حتى استفاقت مذعورة على صوت خشن يصيح بها:

«قومي، وصلنا. والوقت جاوز منتصف الليل. خير لك ان تذهبي الى امك وتخبريها بعودتك، والا ظنت بي السوء!».

واخذ ديفيد يتذمر ويتبرم، فاطاعته موراغ بتردد وهي ذابلة الجفون من النعاس.

وامرها بحدة وحزم:

«اذهبي حالاً. طابت ليلتك!».

فأجابت وهي تشعر بالكآبة والغم:

«وطابت ليلتك انت ايضاً. شكراً لك على صحبتك وعشائك. اعتذر اذا كنت ازعجتك بشيء».

فقال:

«اشكرك على مجيئك معي. والآن اذهبي... أنا آتي بالخريطة والاشياء الاخرى».

واخذت موراغ، وهي تجر قدميها عبر البهو، تفكر هل اساءت اليه في شيء، وكيف؟ والا لماذا اصبحت لهجته جافة قاسية في آخر الرحلة؟ وهزت رأسها وقالت في نفسها: سأعود الى التفكير في هذا الأمر بعد ان استفيق من النوم.

٤ - الغريمة المغرمة

العمل الشاق والمضني شغل العاملين في المحطة طوال الاسبوعين المقبلين. والرجال الخمسة المقيمون في الفندق كادوا يصلون الليل بالنهار، ولاسيما بيتر وديفيد وورون. ولذلك لم يكن لديهم الوقت الكافي للتحدث الى جين وموراغ الا قليلاً.

وقالت موراغ لكاتي وآن في سهرتهن المعتادة ليلة الجمعة:

«ما يدهشني في اولئك الرجال ان احداً منهم لا يتذمّر من العمل الطويل الشاق، بل يجعلون منه موضوعاً للدعابة والمزاح».

فقالت كاتي:

«وانا اتذمّر. فقلما رأيت جوني هذا الاسبوع. انه يتناوب العمل ليلاً في المحطة. وكأن هذا لا يكفي حتى طلب منه ديفيد هاكيت ان

يعمل ساعات اضافية. طبعاً سيدفعون له لقاء هذه الساعات الاضافية، ولكن ما الفائدة اذا كان يصاب بالتعب الى حدّ لا يعود قادراً حتى على التحدث معي!».

فضحكت موراغ وقالت لها:

«انتظري حتى تتزوجي جوني، فتري كيف يكون عليك ان تنهضي باكراً لاعداد طعام الفطور له... وان تنامي وحدك في الليل! فانا وامي لا نعرف شرقنا من غربنا لأن الرجال النازلين في الفندق لا يحضرون من العمل في اوقات معينة... وشهيتهم للطعام تفوق الوصف! وهذا شيء يثير العجب حقاً...».

فقالت كاتي:

«على جوني ان لا يظن اني اتحمّل هذه الحالة طويلا. فلا بد ان اقنعه يوماً بوظيفة اخرى يكون العمل فيها وفق ساعات معينة... اي من التاسعة صباحاً الى الخامسة مساءً. ومهما يكن، فلا اعتقد ان جوني يحب هذا النوع من العمل في المحطة. فطالما قال لي انه يهلك الاعصاب، فضلا عن انه محفوف بالمخاطر».

فعلقت موراغ على ذلك قائلة:

«اذا كان الامر كذلك فانت على حق بان تقنعي جوني بالعمل في وظيفة اخرى. لكن بيتر وديفيد لا ينظران الى عملهما هذه النظرة. فهما لا يباليان بالمخاطر... بل لعلهما يرحبان بها».

فقالت آن مازحة:

«هل رحب بها ديفيد حين جعلته يضيع في طريقه وانتما في سيارة السباق؟».

فصاحت بها موراغ:

«من اخبرك بذلك؟».

فأجابت كاتي:

«جوني اخبرني وانا اخبرت آن. . . الجميع في المحطة يتندرون بهذه الحادثة، خصوصاً لأن ديفيد سائق ماهر، لا يمكن ان يضيع طريقه!».

وقالت آن لموراغ:

«هل تضللينا بقولك انك غير معجبة بديفيد؟ فاذا كنت غير معجبة به، فكيف قضيت معه كل ذلك الوقت؟».

فأجابت موراغ غاضبة:

«اسكتي يا آن، كفاك!».

ولكن آن تابعت كلامها في موضوع آخر، فقالت:

«اتصلت بايان اليوم، فاخبرني ان الثلج سقط هذا الاسبوع، فاذا استمر في السقوط بضعة ايام يصبح بامكاننا ان نذهب الى مزرعته للتزلج الاسبوع المقبل».

فقالت كاتي:

«لا يزال الوقت مبكراً للتزلج. . . فنحن بعد في الخريف!».

أجابت آن:

«ولكن الطقس هذه السنة بارد اكثر من المعتاد. . . والمرصد الجوي ينبىء بسقوط الثلج في اسكتلندا في كانون الاول (ديسمبر)».

فقالت موراغ:

«لا يمكن الاعتماد على المرصد الجوي دائماً. . . ولكن، ما أضيق العيش لولا فسحة الامل. . .».

وجاء شهر كانون الاول واستمرّ الطقس في برودته. وكانت اخبار سقوط الثلج تتوارد، حتى انه اصبح واضحاً على سفوح الجبال، وكان لونه ابيض لامعاً في وضح النهار، وبرتقالي اللون عند المساء

وعند الصباح.

وبعث الطقس البارد نشاطاً ملحوظاً في موراغ، فبدأت تعدّ ادوات التزلج في ساعات فراغها القليلة. ذلك ان بيتر وزملاءه كانوا لا يزالون يعالجون الازمة التي وقعت في المحطة، فيعملون بجهد ولساعات طويلة، آملين ان ينتهوا من ذلك قريباً ليعودوا الى نمط عملهم العادي.

وكانت موراغ تتوق الى مجيء ذلك اليوم، لأنها كانت تتهيأ للذهاب الى تلال هوايت كراكز، حيث اعتادت على التزلج كل سنة، منذ كانت في الحادية عشرة. وكان المكان متواضعاً، جهّزه ايان على ارضه، وهو احد المزارعين الذين حازوا شهرة عالية في التزلج، فبنى عدداً من الاكواخ كان في وسع المتزلجين ان يبيتوا فيها، شرط ان يجلبوا طعامهم معهم.

وصحّ ما توقعه بيتر، فبعد بضعة ايام عادت الحياة في المحطة الى طبيعتها، واصبح لدى موراغ متسع من الوقت لقضاء عطلة آخر الاسبوع في التزلج. واتصلت آن لتقول لها انها وأخاها دني وخطيبها فرانك سيأتون في سيارة صباح السبت لاصطحابها الى مكان التزلج، لأن ايان اخبرها ان الثلج سقط بما فيه الكفاية.

فشرعت موراغ تتهيأ حتى اذا ما جاء صباح السبت كانت على اتمّ الاستعداد، فتركت ادوات التزلج في البهو ودخلت المطبخ لجلب الزاد الذي اعدته من قبل، فوجدت امها جين هناك تهيىء طعام الغداء. فقالت لها موراغ، وهي تحمل كيس الطعام:

«هذا الطعام يكفينا كلنا. . . هل انت متأكدة انك قادرة على تدبير شؤون الفندق وحدك؟».

فاجابتها جين:

«اما قلت لك دائماً ان تطمئني؟ اذهبي واقضي وقتاً ممتعاً مع ابناء جيلك... اريدك ان تعاشريهم من حين الى آخر».

فوعدت موراغ امها، على ان تعود مساء الاحد.

وفيما هي تعبر البهو شاهدت ديفيد واقفاً قرب الطاولة التي يوضع عليها بريد النزلاء، وكان يقرأ رسالة وردت اليه. وبدا من ملامح وجهه العابسة ان ما جاء في الرسالة لم يرق له. واحس بمرور موراغ فنظر اليها وقال:

«اين وعدك لي؟ لا شيء اعمله في نهاية هذا الاسبوع، فلماذا لا تدعينني الى مرافقتك؟».

ووقفت سيارة امام الباب وتعالى نداء راكبيها، فقالت موراغ:

«ها هم ينادونني... وعلي ان اسرع».

قالت هذا على امل ان تتخلص منه. ولكنه استوقفها ملحاً عليها ان تأخذه معها. وكان يقول ذلك وهو يبتسم محاولا اقناعها. فقالت له:

«لكن آن ودني بانتظاري في السيارة... فأرجوك يا ديفيد ان تحيد عن طريقي، لئلا يحسبا اني عدلت عن الذهاب معهما».

فقال لها ديفيد:

«اخبريني الى اين انتم ذاهبون للتزلج، وانا الحق بكم بعد الغداء. الا اذا اردتم ان تنتظروني!».

فهزت رأسها قائلة:

«لا، لا تفعل... لا اعتقد انك تحب ذلك المكان».

ولكن ديفيد أصرّ وبقي واقفاً في طريقها يمنعها من السير باتجاه الباب، ما لم تخبره الى اين هم ذاهبون.

فقالت له موراغ:

«المكان متواضع جداً. هنالك بضعة اكواخ، وعلينا نحن ان نهيء طعامنا».

ثم اخذت تشرح له بالتفصيل اين المكان وكيف الوصول اليه، بينما هو يمزق الرسالة التي بين يديه. واشارت عليه ان يخبر امها حين بذهابه، ويطلب اليها ان تعطيه بعض الزاد اضافة الى ما كانت تحمله معها.

ثم اسرعت الى السيارة، واما ديفيد فراح يقفز الدرج صاعداً الى غرفته لاعداد اغراضه واللحاق بها.

كانت شمس الشتاء الصفراء البلورية تنحدر عبر سفوح التلال البيضاء، فيما اخذت موراغ تتزلج نزولا فوق احداها. كان الثلج رائعاً، وكان التزلج عليه ممتعاً للغاية.

وحانت منها التفاتة، فاذا بها تلمح سيارة حمراء صغيرة تقف بين السيارات قرب الاكواخ. فخفق قلبها وهي تحدق باحثة عن رجل ذي قامة طويلة مميّزة.

واقتربت آن منها، وكانت ترتدي قبعة صوف حمراء، وقالت لها:

«ما لك واقفة؟ كنت احسب انك جئت للتزلج!».

ونظرت الى حيث تنظر موراغ، فلما رأت ديفيد تابعت كلامها قائلة:

«ها ها... الفتى الذهبي!».

فصاحت بها موراغ:

«لا تصفيه بهذا الوصف... ارجوك!».

فاجابت آن:

«لماذا لا؟ عليك ان تعترفي انه كذلك... والآن الى اين انت ذاهبة؟».

دعتها موراغ الى السباق، فقبلت دعوتها. وفيما هما تنحدران الى أسفل السفح، كان ديفيد قد وصل الى هناك بقامته المديدة وهندامه الخاص بالتزلج، فلما اقتربت منه لم تتمالك من اظهار فرحها بقدومه.

فقال لها:

«يا لك من متزلجة ماهرة. كيف لي ان انافسك؟».

أعجبها مديحه، فقالت وهي تتقي نظرات التقدير في عينيه:

«هل وجدت صعوبة في الطريق؟».

أجابها:

«كلا. كانت سهلة، ووجدت المكان من دون عناء. يا له من مكان رائع! كيف ظننت انني لن احبه؟ ربما لأنك لم تريدي ان ارافقك...».

فقالت له:

«خيّل الي ان هذا النوع من الامكنة لا يروق لك. فأسباب الراحة فيه ضئيلة كما ترى. وصاحبه ايان جهزه لمن كان مثلنا لا يتحمل نفقات التزلج هناك في الشمال. فلا لهو ولا تسلية... والأسرّة قاسية كالخشب».

فأجابها ديفيد:

«ما الذي جعلك تعتقدين اني ابالي كثيراً بالرفاهية في مثل هذه الاحوال؟ وكيف اخذت انطباعاً كهذا عني؟».

وحين لاحظ الاحراج الذي اثاره فيها كلامه، تابع قائلا:

«ربما تمكنت ان امحو هذا الانطباع في نهاية هذا الأسبوع... والآن دعينا نصعد الى اعلى السفح لنتزلج بعض الوقت، قبل ان يخيّم الظلام... فأنا لا احسن التزلج كما يجب!».

ومن تلك اللحظة اخذ الوقت يمر سريعاً، فكان بالنسبة الى موراغ وقتاً مليئاً بالدعابة والمرح والشمس الساطعة. وكان القمر في الليل يلقي ضوءه على السفوح، فينعكس بياضاً فضياً هنا، وظلالا ساحرة هناك.

وليلة السبت احيا المتزلجون سهرة اختلط فيها الغناء الشعبي بانغام قيثارة دني ومزمار احد الحاضرين. وكان ديفيد جالساً الى جانب موراغ وذراعه تطوقها، وانامله تداعب شعرها الاسود الطويل. وحين جاء وقت النوم تفرّق الجمع، فذهب كل واحد الى فراشه.

وطلع صباح الاحد مشمساً ورائقاً كالثلج المضطجع على تلك السفوح البهية، فراح ديفيد وموراغ يتزلجان ببهجة ما بعدها بهجة، حتى ان موراغ تغلبت على شعورها العدائي نحو ديفيد عندما تلاقيا لأول مرة، وبدأت تنعم وهي الى جانبه بسعادة تنعكس على وجهها الساحر الفتيّ.

وفي آخر النهار قالت آن لموراغ، وهما تخلعان ثياب التزلج وتستعدان للعودة مع الآخرين:

«تعالي معنا الى البيت الآن. ما رأيك؟».

فأجابت موراغ:

«كلا، اشكرك».

فقالت آن:

« لا ألومك على رفضك».

ثم اضافت وهما تسيران نحو الكوخ لجلب اغراضها:

« يقول دني انه ينوي قضاء نهاية الاسبوع المقبل في مكان رائع للتزلج في الشمال، اذا كان الطقس ملائماً آنذاك. فقررت انا

وفراقك ان ترافقه. ليتك تأتين معنا برفقة ديفيد، فهو حلو المعشر، ونرحّب به كلنا».

فقالت لها موراغ:

«أتمنى ذلك، ولكني دعيت الى سهرة وداعية يقيمها العاملون في المحطة، ووعدت بقبول الدعوة».

فأجابت آن:

«بامكانك ان تذهبي دائماً الى سهرة راقصة، ولكن لا يتاح لك دائماً ان تذهبي الى ذلك المكان الشهير للتزلج. وانت طالما حلمت بالتزلج هناك».

فقالت موراغ بتأوه:

«اعرف ذلك. هل تكلف الرحلة كثيراً؟».

فاجابت آن:

«لا اعلم. سأسأل دني. اتصلي بي يوم الثلاثاء المقبل واخبريني اذا كان في وسعك المجيء معنا».

ثم تابعت آن كلامها قائلة:

«هذان اليومان اللذان قضيناهما هنا لا يمكن ان ننساهما... اعدك بان لا اخبر آندي عندما يعود. لكني اريد ان احذرك من ديفيد. فهو شاب وسيم، ولكن لا يؤمن جانبه».

فقالت موراغ:

«لا شيء بيني وبينه، فاطمأني... وبامكانك ان تخبري آندي بما تشائين».

فاضطربت آن لكلامها وقالت:

«لا تكوني كالنعامة التي تخفي رأسها في الرمل... هل لاحظت كيف ينظر ديفيد اليك؟».

ولكن موراغ كانت في هذه الاثناء قد هرعت في اتجاه السيارة الحمراء الصغيرة التي كانت مصدر ارتياحها وهنائها. ذلك انها اصبحت تتجاوب بكل قلبها مع ديفيد الذي كان يثير في قلبها شعور المرح، ورأت ان وراء تلاعبه القاسي بالكلام يكمن الاطمئنان والصلابة اللتان كانت تحتاج اليهما في وحدتها وقلقها. وكانت عطلة نهاية الاسبوع كافية لتظهر لها، بعد التحدث اليه ومشاركته في ساعات المرح والضحك، انه الرجل الذي في وسعه ان يخفف مما يصيب المراهقين من قلق واضطراب وحيرة في مواجهة الحياة.

وفيما هما عائدان في السيارة الى الفندق. اخذا يتجاذبان اطراف الاحاديث ويتبادلان الأغاني. ولكن ما ان نزلا من التلال الى السهل واقتربا من اضواء القرى والمدن، حتى لزم ديفيد الصمت. فتعجبت موراغ من هذا التغيّر المفاجىء، وسألت نفسها هل كان هذا عائداً الى شعوره بالتعب، او الى الضجر منها؟ غير انها صرفت هذه الفكرة من ذهنها وآثرت ان تعتبر المزاج الذي حلّ به عائداً الى ما يعانيه في اعماقه من تناقض ينعكس في الجانب المرح الذي يحاول اظهاره للناس.

على انه لم يرق لها ان يصمت ديفيد هذا الصمت الذي ابقاها خارج عالمه. وشعرت انها عادت لتكون تلك الفتاة الوحيدة الجالسة بقرب رجل غريب، يعيش حياة خفية لا تعلم عنها شيئاً، ومع ذلك تحسّ نحوها بغيرة شديدة.

وكان كل شيء هادئاً حين وصلا الى الفندق. فأوقف ديفيد السيارة في مكانها المعتاد ومدّ ساقيه الطويلتين وهو يقول متذمراً:

«سأحس بالوجع في الصباح، فجسمي سيكون يابساً كخشبة. واما انت فلن تحسي الا بقليل من الوخز. فأنت تتريضين، بينما انا

اقضي معظم وقتي راكباً سيارتي».

وانشرح صدر موراغ لأن البسمة عادت الى وجهه، وتذكرت مزاحه عندما كانا يتزلجان على الثلج، فأخذت تضحك فقال لها:

«ما بالك تضحكين؟».

فأجابت موراغ:

«خطر لي بعض ما جرى لك فوق الثلج، وكيف انقلبت فاتحاً ساقيك بحيث كدت تنقسم شطرين...».

فقال ديفيد:

«لك ان تضحكي، ولكني كدت اموت. ومهما يكن، فسروري كان عظيماً في هذه العطلة الاسبوعية، وانا اشكرك على ذلك».

فاجابت موراغ:

«لا تشكرني... لانك انت فرضت نفسك عليّ».

فوضع ديفيد ذراعه حول كتفيها، فتراجعت قليلا من دون ان تشعر، فقال لها:

«بلى، الشكر لك يا موراغ. ولن انسى فضلك!».

ونزل ديفيد من السيارة واشار اليها ان تساعده على اخراج الحوائج. وبعد حين دخلا بهو الفندق وهما يغنيان ويقهقهان. وفجأة فتح الباب ودخل بيتر واغلق الباب وراءه وهو يضع اصبعه على فمه مشيراً بالسكوت.

فصاح ديفيد غير مبال باشارة بيتر:

«هاي... اسمح لي ان اقدم لك الآنسة موراغ هندرسون التي لا مثيل لها في التزلج على الثلج... فهي لا تغني كالعصفور فقط، بل تطير مثله ايضاً... والآن، مالي اراك مرتبكاً ومشيراً بالصمت؟».

وما كاد بيتر يفتح فمه، حتى فتح الباب الذي اغلقه ودخلت منه امرأة شقراء طويلة القامة، حسنة الهندام، تلبس ثوباً مرقطاً بالأبيض. وكانت الابتسامة وعلى وجهها تخفف من قساوة ملامحها، حين اقتربت من ديفيد ومدت يدها مرحبة به، وهي تقول:

«يسرني ان اراك يا ديفيد!».

قالت هذا وأمسكت بسترته ثم وقفت على رؤوس اصابعها وقبلته.

فتراجع ديفيد بلطف الى الوراء وقال مبتسماً برفق:

«اهلا بك يا جن... اقدم لك موراغ هندرسون. هذه فرجينيا لانغدون يا موراغ، وهي معروفة باسم جن... متى قدمت الى هنا يا جن؟».

فردت جن تحية موراغ لها ببرودة ثم قالت لديفيد:

«جئت البارحة بعد الظهر، وحالما وصلت اتصلت بك، فتعجبت كيف لم اجدك هنا... هل تلقيت رسالتي؟».

وابتعدت موراغ عن ديفيد ووضعت اغراضها قرب الجدار استعداداً لنقلها الى غرفتها عندما تصعد للنوم. وتذكرت كيف كان ديفيد منزعجاً وهو يقرأ الرسالة امس، وكيف مزقها فيما بعد. ووقفت تنتظر ماذا سيقول لفرجينيا، وهل يكذب عليها؟

فأجابها ديفيد:

«نعم، تلقيت الرسالة... ولكني لم اتمكن من مقاومة رغبتي في الذهاب الى التزلج، فذهبت».

فقالت له، وهي تنظر اليه من بين جفون كانت في رأي موراغ مزيفة:

«كان عليك ان تترك لي كلمة، يا حبيبي!».

فاجابها ديفيد:

«حان لك ان تعرفيني جيداً... فأنا عنيد ولا اعمل الا ما يروق لي. واعجب كيف تتحملينني الى هذا اليوم».

وكان لا يزال يحمل ادوات التزلج على كتفه، فابتعد عن فيرجينيا كأنما اراد ان يتجاوزها الى الدرج. ولكنها امسكته وقالت له بابتسامة مغرية:

«اتحملك لأني احبك. وانا اصفح عنك. والآن، اذهب يا حبيبي وبدّل ثيابك. سنتناول طعام العشاء مع والدي في فندق رويال، اننا باقيان في اسكتلندا مدة اسبوعين، بينما هو يبحث في بعض الامور المتعلقة بالشركة. وفي نهاية الاسبوع المقبل ستقضي السهرة في منزل الكولونيل موسغريف فهل ترافقنا؟ وهل تريد ان تقيم معنا في فندق رويال يا حبيبي؟».

وسمعت موراغ هذا الحوار وهي واقفة قرب الدرج بانتظار ان تودع ديفيد، كما تقضي اللياقة. وبدا لها ان فرجينيا كانت كمن تصدر اوامرها لديفيد.

واجاب ديفيد بحزم:

«افضل ان اقيم هنا. شكراً».

وقال بيتر:

«سنترككما، انا وموراغ، لتتداولا وحدكما في الامور. والآن وداعاً يا فرجينيا. سنلتقي في السهرة الراقصة...».

والتفت بيتر الى موراغ وامسكها بيدها وسار بها نحو المطبخ لتناول طعام العشاء مع جين. وشعرت موراغ بالارتياح وهو يمسك يدها، كأنما وجدت في فرجينيا خطراً يتهددها. وحين وصلا الى المطبخ تنهد بيتر وقال لموراغ:

«كم سرّني مجيئكما... قضيت بعد الظهر وأنا اهدىء من روعها واطيّب خاطرها... فكيف ذهب ديفيد الى التزلج وهو يعلم انها ستأتي؟ ايعجبك مثل هذا التصرف؟».

وحيّت موراغ امها وجلست في مكانها المعتاد، بعد ان خلعت حذاءها. وجلس بيتر في مكانه المعتاد بقرب الموقدة.

وبعد حين قالت موراغ:

«من هي هذه المرأة؟».

فأجابت جين:

«هذه ابنة باسيل لانغدون رئيس الشركة؟».

فقالت موراغ:

«ولكن، هل هذا يمنحها حق الدلال على ديفيد؟».

فأجابها بيتر:

«هذا بحد ذاته لا يمنحها هذا الحق... ولكنها منذ سنتين راهنت على ان تتزوج ديفيد. وانا اعتقد انه سيتزوجها، حين يقرر ان يعيش حياة مستقرة».

٥ - بين المطرقة والسندان

واعتزلت موراغ في غرفتها، فجلست على مقعد قرب النافذة وراحت تحدق الى البحر المتلألىء تحت ضوء القمر. وكانت المنارة تضيء كل بضع ثوان لتحذر السفن المقبلة، فجمح بها الخيال الى تحذير بيتر لها من ديفيد عندما جاء للاقامة في الفندق، ناهيك بتحذير آن ايضا في ذلك النهار نفسه، فضلا عن حدسها الذي كان يثير فيها الخوف ويحثها على الدفاع عن نفسها.

فالبارحة كانت تنعم مع ديفيد ببياض الروابي المتلألئة في ضوء القمر، وها هو هذه الليلة يتعشى في فندق فخم مع امرأة اخرى... امرأة غاوية شقراء تشبه «حسناوات الغلاف»... امرأة تدعوه يا حبيبي.

وهكذا عادت الوحشة الى قلب موراغ، بعد ان ازالها المرح والدعابة والتفاهم بفضل رفقتها لديفيد في اليومين الاخيرين.

ودمعت عينا موراغ وسرت حرارة الدم في عروقها، فأغلقت ستارة النافذة، وبدأت تخلع ثيابها استعدادا للنوم.

على ان النوم لم يحالفها تلك الليلة، فاستولى عليها الارق الذي لم تكن تعرفه من قبل الا لماماً. ذلك انها اخذت تسترجع كل دقيقة من اليومين الماضيين اللذين قضتهما مع ديفيد. وحاولت بجهد ان تتفهم آراءه المقتضبة عن الزواج، وكلامه على ما يحيط بعمله في الشركة من تعقيد. فالتعقيد، اذن، هو فرجينيا. وهو في آخر الأمر سيتزوجها، كما يعتقد بيتر، ولكنه حتى ذلك الوقت، له ان يعاشر من شاء من الفتيات.

فكرت موراغ بهذا كله وقالت في نفسها: لن اكون واحدة من هؤلاء الفتيات. وحاولت ان تنسى ابتسامة ديفيد والدعابة التي تشع في عينيه كلما نظر اليها وكأنها كل ما يعنيه ويهمه في هذا الوجود... أيكون قد اوقعها في فخ سحره الذي نصبه لها في اليومين الاخيرين؟ ولكنه، ولا ريب، سيجدها مختلفة كل الاختلاف عن سائر الفتيات اللواتي عرفهن. فهي لن تسمح له باقامة اي علاقة حب معها ما لم تسفر عن زواج.

وبعد ان قضت الليل بطوله تغالب مثل هذه الأفكار، أطل نهار الاثنين اطلالته العادية.

وتأخر ديفيد في المجيء الى تناول طعام الفطور، على الرغم من انها ذهبت الى ايقاظه بالحاح من بيتر. وبدا في غرفة الطعام اصفر الوجه، ويعرج في سيره. وما ان جلس حتى طلب في خشونة قهوته وطعامه.

ونهض بيتر من مكانه وتطلع الى ديفيد الذي كان يتثاءب ويأكل طعامه بسرعة فائقة، وصاح به:

«الساعة الثامنة والنصف الآن، وكان عليك ان تكون في العمل في تمام الثامنة...».

فأجابه ديفيد:

«اعرف ذلك... قدّم شكواك الى الرئيس... والآن اذهب، وأنا لاحق بك بعد قليل».

فقال له بيتر:

«سأذهب، ولكن لا تأخذ اوامرك الا مني طوال وجود فرجينيا هنا، والا حدث ما لا تحمد عقباه!».

فأجابه ديفيد:

«اخبرها بذلك، اذن».

وعاد الى تناول طعامه، فشرب قهوته بسرعة وازدرد طعامه ثم تناول سترته وتبع بيتر، من دون ان يقول لموراغ اية كلمة.

وفي ذلك النهار لم يحدث اي شيء خارج على المعتاد. وقامت موراغ بعملها العادي في تدبير شؤون الفندق، وبعد الظهر وجدت الوقت الكافي للخروج الى السوق لتشتري بعض الحاجيات. ودخلت كعادتها الى حانوت البقالة الذي يملكه والد كاتي، فوجدتها هناك واقفة بين مختلف اصناف المآكل، تلبي مطالب الزبائن.

ثم مشت موراغ الى الفندق، فتمتعت على طول الشاطىء بالمناظر الخلابة. وكان معارفها يمرون بها، فتحييهم ببشاشة ولطف.

وعند وصولها الى الفندق وجدت سيارة ضخمة خضراء واقفة امام الباب، فنظرت الى داخلها فاستغربت ان يقدر احد على اقتناء مثل هذه السيارة الباهظة الثمن. ولما دخلت الفندق واجتازت البهو الى

غرفة الاستقبال لقيت فرجينيا جالسة على احد المقاعد. كانت تدخن وتحدق عبر النافذة، وعلى وجهها ملامح الضجر والاستنكار. فمرت بها موراغ باتجاه المطبخ، من دون تحية.

وحين وصلت الى المطبخ قالت لجين:

«ماذا تفعل هذه الفتاة هنا؟».

فأجابت جين، وهي تهيء لفرجينيا ابريقاً من الشاي:

«كم مرة قلت لك لا تشيري الى هذه الفتاة بمثل هذه اللهجة؟».

فقالت موراغ، وهي تضع سلة الحاجيات التي اشترتها من السوق:

«حسناً، ماذا تفعل الآنسة فرجينيا لانعدون هنا؟».

ثم تابعت كلامها قائلة:

«ارى انك تعتبرينها شخصية رفيعة المقام. فلا احد، كما اذكر، استحق منك هذا التقدير والاحترام».

فأجابت جين:

«انها بالفعل فتاة ذات شأن. فهي تملك اسهماً عديدة في الشركة. واظن ان ديفيد سيلتقيها هنا بعد حين!».

فقالت موراغ:

«ولكنه لن يكون هنا قبل مضي ساعة على الاقل. فهو، كما سمعت، منشغل جداً في المحطة. وهذا الصباح قال له بيتر انه لا يقبل ان يكون لوجود فرجينيا اي تأثير على عمله...».

وحاولت جين ان لا تصب الزيت على النار، فقالت:

«اظن ان هذه الفتاة المسكينة تعاني الضجر في ذلك الفندق الفخم، وهي لا تعرف غيرنا في هذه المدينة، ولذلك جاءت لزيارتنا».

فقالت موراغ:

«في وسعها ان تفعل الكثير للترويح عن نفسها، وهي التي تقود سيارة فخمة كهذه. . .».

فنظرت اليها جين مؤنبة وقالت لها:

«لا تكوني قاسية يا موراغ. والآن خذي هذا الابريق وصبّي لها الشاي وتحدثي اليها قليلا. فهذا يوفر عليّ بعض الوقت!».

فصاحت موراغ:

«لا. لا اريد ان اتحدث اليها البتة».

فاجابت جين:

«ستفعلين كما امرتك. تذكّري انها صديقة ديفيد، وهو نزيل في هذا الفندق. فعلينا ان نعاملها معاملة حسنة، اكراماً له».

فانصاعت موراغ الى اوامر جين، فاصلحت من هندامها بسرعة وحملت ابريق الشاي ودخلت الى حيث تجلس فرجينيا وقالت لها:

«نهارك سعيد، يا آنسة».

فنظرت اليها فرجينيا بغير اهتمام، ولكنها لما ادركت من هي، عدلت جلستها على كرسيها وحلّ الاهتمام البالغ محلّ الضجر، فردت عليها التحية وقالت:

«شكراً لأمك لأنها ارسلتك، ولأنها كرمتني كل هذا التكريم».

وكانت فرجينيا تلبس حلّة صوفية خضراء، وتتزيّا بزيّ كأنه على صفحة من مجلة نسائية شهيرة.

وقالت لموراغ:

«ارجو ان تجلسي معي وتؤنسيني، فانا ضجرة حتى الموت. ابي في المحطة اليوم، فترك لي سيارته. ولكن كيف لي ان اقودها واتفرج على المناظر الطبيعية في هذا الفصل من السنة؟ ذهبت الى السوق، فما

وجدت شيئاً يستحق الشراء. . . . هل تسكنين هنا؟ انا اصاب بالجنون اذا كان علي ان افعل».

واحست موراغ ببعض الولاء لمسقط رأسها، فحاولت الدفاع عنه رغم كل شيء، فقالت:

«هذا المكان يبدو سيئاً، ولكنه مليء بالمحاسن. . . هل تريدين سكراً وحليباً مع الشاي؟».

قالت هذا وراحت تخدمها بلباقة، فقدمت لها اقراص الحلوى والفطائر، فاعتذرت عن قبولها بحجة انها تزيد السمنة.

وبعد ان قامت موراغ بواجبها، استراحت في مقعدها وتناولت فطيرة واخذت تأكلها بنهم، ثم تناولت اخرى غير مبالية بالسمنة وهي تنظر الى ضيفتها وتسأل نفسها كم يكون لها من العمر. وكان الجواب على ذلك عسيراً لكثرة ما استعملت فرجينيا من وسائل التجميل. ولكن موراغ قدرت انها في حوالى الخامسة والعشرين من العمر. ومع انها لم تكن جميلة، لكنها بذلت كثيراً من الجهد لتبدو كذلك، فحققت بعض النجاح.

وفاجأت فرجينيا مضيفتها بالقول:

«اما اكتفيت من النظر الي؟».

فارتبكت موراغ وعادت اليها عنجهيتها الاسكتلندية، فاجابت:

«آسفة ان احدق اليك هكذا، ولكني معجبة بزينتك وهندامك. . . فانت تبدين في منتهى الكمال. . .».

فقالت فرجينيا بلطف:

«اشكرك على هذا المديح يا موراغ، فهو خير ما سمعته من امرأة حتى الآن. . .».

وشربت موراغ قدح الشاي بصمت وهدوء، وهي تتمنى ان

تكون لبست اجمل ما تملكه من الثياب. وكأن فرجينيا ادركت ما يجول في خاطرها، فقالت لها بابتسامة ساحرة:

«انت جميلة، وملامح وجهك رائعة».

ففوجئت موراغ، فيما تابعت فرجينيا كلامها قائلة:

«نعم، انت حسناء كما قال ديفيد في الليلة الماضية... حين تحدث عنك وعن التزلج طوال الوقت».

وحارت موراغ كيف تجيب، فلجأت الى اللياقة وقالت:

«هل تريدين مزيداً من الشاي، ايتها الآنسة لانغدون؟».

فاجابت فرجينيا:

«ارجوك ان تناديني جن. كلهم ينادونني هكذا... والآن، هل تسمحين لي ان اسدي اليك نصيحة اخت لاختها؟ فانت تحتاجين اليها، نظراً الى صغر سنك وسذاجتك».

فقالت لها موراغ:

«ما هي نصيحتك؟».

فاجابت جن:

«ان لا تأخذي ديفيد بعين الجد... فهو يطارد الفتيات الجميلات اينما ذهب... واذا اصطادهم فالى حين. وفي آخر الامر يعود الى لندن... اليّ انا. وهذه المرة، عندما يعود من هنا، سنتزوج في الربيع».

ونظرت الى الفتاة الحاقدة التي جلست قبالتها، ثم تابعت كلامها قائلة:

«لا تغضبي عليّ... انت تختلفين كثيراً عن الاخريات بما لك من الاحساس المرهف... وانا لا اكرهك بحيث اشعر بالاساءة، اريدك ان تبقي صديقة لديفيد، فمن المستحيل مقاومته... ولكن

لا تتورطي بعلاقتك معه... هو يتحدث كثيراً عن نفسه... غير اني لاحظت البارحة انه لم يخبرك بوجودي في حياته...».

فقالت موراغ:

«نعم، لم يخبرني بك، ولكني شعرت ان هناك امرأة في حياته. فموقفه مني لا يعدو كونه موقف صديق نحو صديقته. فلا تخافي. وفضلاً عن ذلك فهو، يكبرني بعشر سنين... وانا لا اعجب به الى هذا الحد!».

فأجابت جن:

«مهما يكن، فاعلمي ان مستقبله سيكون في لندن. انه ماهر في عمله، ولكنه لا يعرف كيف يتصرف مع الآخرين ليصل الى اعلى المراتب. ولكني سأفعل ذلك عنه. ولن يمضي وقت طويل حتى يصبح شخصية هامة في حقل اختصاصه».

وتحيّرت موراغ من كلامها الذي كان فوق متناول فهمها، فعضت على شفتها بصمت وتساءلت: كيف يمكن لأحد ان يغيّر سواه، فيجعل طبعه خلاف ما هو، من دون ان يفسده؟».

وقالت لها جن:

«هل استغربت كلامي؟».

فأجابت موراغ:

«أتساءل ما هو نصيب السعادة في مخططك... اذا سجنت ديفيد هكذا، فانه يذبل ويموت».

فصاحت بها جن:

«سجنته؟ ماذا تعنين بذلك؟ فهو سيكون اكثر الناس حرية في التصرف كما يشاء».

فقالت موراغ بحماسة:

«الا في ما يحب ويهوى في الحياة!».

وارتبكت جن من كلامها، لاول وهلة، ثم استعادت السيطرة على نفسها وقالت:

«انت عاطفية وساذجة... فكيف لمثيلاتك ان يعرفن حقائق الحياة؟ ثم ماذا تعرفين عن ديفيد؟ لم يمض عليه من الوقت هنا اكثر من بضعة اسابيع... اما انا فاعرفه منذ خمس سنوات».

فقالت موراغ وهي تجمع صحون الشاي:

«انت على حق. ثم ان هذا الامر لا يعنيني في شيء!».

فابتسمت جن وقالت لها:

«يسرّني ان تدركي الامر. فمن السهل على فتاة مثالية مثلك ان تعتقد انها تعرف كل شيء عن ديفيد، وانه رجل مستقيم كما يدّعي. ولكن صدقيني انه بحاجة الى من يفهمه ويعالج اموره».

وسمع صوت سيارة وقفت امام الباب، فقالت جن:

«هذا ديفيد».

وفتح الباب ودخل ديفيد، فوقع نظره، اول ما وقع، على ابريق الشاي والمرأتين اللتين كانتا ولا ريب تتحدثان عنه.

فقالت جن:

«أهلاً بك، يا حبيبي. اذن، تلقيت دعوتي اليك بالمجيء».

فاجابها ديفيد ووجهه عابس وعيناه قاسيتان:

«تلقيتها. ولكن ايّاك ان تفعلي هذا مرة اخرى. فأنا هنا للعمل، ولا اقدر ان اترك العمل واهرع اليك كلما شعرت بالوحشة والضجر.. بيتر مستاء جداً... وعليّ ان اعود الى المحطة هذه الليلة».

كان غضبه بشعاً، هكذا فكرت موراغ وهي تمرّ قربه حاملة ابريق

الشاي والفناجين. اما فرجينيا فقامت واقتربت منه والقت يديها البيضاوين على صدره وكتفه، واخذت تداعبه وتقول:

«لا تغضب يا ديفيد. ابي سيعالج الامر مع بيتر، وانت تعرف ذلك».

فصاح بها ديفيد محاولا دفعها عنه:

«كفاك يا جن. انت تعرفين اني لا احب هذا النوع من التدخّل في اموري...».

وسمعت موراغ هذا الحوار وهي بعد في البهو، فراق لها ان فرجينيا لا تنال من ديفيد كل ما تريد. وحين دخلت المطبخ سألتها جين:

«هل هذا ديفيد؟ كأني سمعت صوته».

فأجابت موراغ:

«نعم. وهو غاضب جداً، لأنها اتصلت به وهو في المحطة».

فقالت جين:

«مسكينة، يبدو انها تكاد تموت من الضجر».

ولم يرق هذا العطف لموراغ، فقالت لأمها:

«انت تعطفين على كل الناس... اما نضجر نحن ايضاً بعض الاحيان؟».

فتأوهت جين وقالت:

«المال يشتري كل شيء الا السعادة. هل تتمنين ان تكوني في محلها؟ اي غير قادرة على تسلية نفسك ما لم يكن في اعماقك غنى داخلي؟».

وابتسمت موراغ في وجه امها وتذكرت ان الغنى الداخلي هو احد الموضوعات المحببة اليها. فهي تكرر القول دائماً ان على الانسان ان

يكون عنده غنى داخلي، حتى اذا كان وحيداً تمكن من الاعتماد على ذلك الغنى، والا شعر بالوحدة والضجر.

وطرق الباب، فلما فتحته موراغ دخلت فرجينيا بحشمة وادب وقالت لجين:

«آسفة ان ازعجك مرة اخرى يا سيدتي. ديفيد طلب مني ان اخبرك بانه لن يتناول طعام العشاء هنا هذه الليلة. فهو يبدل ثيابه الآن لاننا سنذهب معاً الى غلاسكو لقضاء السهرة».

كانت فرجينيا في كلامها هذا في منتهى اللباقة والحسن. ويبدو انها تغلبت على ديفيد بالحيلة والدهاء.

وقالت جين:

«اهلا بك في اي وقت، طوال اقامتك هنا».

فشكرتها فرجينيا على ضيافتها وأبدت لها كم كانت سعيدة بالحديث الذي جرى بينهما. ثم امتدحت من جمال موراغ، ولكنها اعربت عن حاجتها الى الخبرة في الحياة... وتطوعت ان تساعدها في ذلك.

وحين ودعت وخرجت، كادت موراغ من غيظها ان تغلق الباب وراءها بشدة وهي تصيح:

«يا لها من فاجرة!».

فصاحت بها جين:

«ما هذا الكلام يا موراغ...».

ولكن موراغ رددت الشتيمة غير مبالية بتأنيب امها، ثم قالت وهي ترمي بثقلها على الكرسي:

«انها قلقة وخائفة من ان انتزع منها حبيبها ديفيد... والا فلماذا نصحتني الاّ آخذه بجدّ، كما لو كنت سأفعل؟».

ووقفت جين بازاء الطاولة، وقد ازعجها ما ابدته ابنتها من غيظ، فقالت لها:

«قد يكون من حسن الحظ انها جاءت الى هنا في هذا الوقت...».

فقاطعتها موراغ قائلة:

«ماذا تعنين بذلك؟ آه، لا تكوني بلهاء يا اماه! انا غير متأكدة انني معجبة به، فكيف اقع في غرامه؟».

فاجابت جين:

«خففي عنك يا ابنتي... تذكّري انك قلت لي ان عطلة نهاية الاسبوع التي قضيتماها معاً كانت رائعة جداً».

فدفنت موراغ وجهها بين كفيها وقالت:

«نعم، كانت رائعة حقاً... فهو رجل حلو المعشر ورقيق القلب و...».

وبعد تردد تابعت قائلة:

«ايجوز، بعد ذلك الوقت الهني الذي قضيناه معاً، ان نعود الى الفندق لنجدها هنا؟».

وراعها ان تقف وجهاً لوجه امام الحقيقة التي كانت تحاول الهرب منها، فقالت:

«كان ذلك اليماً موجعاً... فماذا اعمل الآن؟».

وشعرت جين بالكآبة والقلق وهي تبحث عن الكلمات الملائمة لمعالجة هذا الوضع المحفوف بالمخاطر. وفي آخر الامر قالت لموراغ:

«اوافقك... انه اليم موجع... وبيتر ادرك ذلك حين عدت من العطلة امس، ووجهك يطفح بالفرح والسرور. وهاله الأمر لأنه يتحمل بعض المسؤولية في علاقتك مع ديفيد... اما شجّعك على

مرافقته في يوم السباق؟».

وشقّ على موراغ ان تكون عواطفها انكشفت للعيان، فصاحت قائلة:

«آه، ماذا افعل؟ كيف وقعت في حبّ واحد له حبيبته، وينظر اليّ نظرته الى فتاة صغيرة».

فقالت جين:

«من يدري؟ ربما كانت عاطفتك نحو ديفيد عاطفة، عابرة... ومهما يكن فعليك الانتباه، خصوصاً بعدما اخبرني بيتر ما يعرفه عن سلوك ديفيد مع الفتيات... نعم، ارجوك الانتباه الشديد يا ابنتي».

وتأوهت جين لأن هذا الحديث اتعبها، فارادت ان تضع له حداً فقالت لموراغ:

«كل ما في وسعي ان اقوله لك هو ان تتجنبي ديفيد».

فصاحت موراغ قائلة:

«ولكن كيف؟ فهو يقيم في هذا البيت، وعليّ ان اراه كل يوم، وان اوقظه صباحاً حين يتأخر في نومه».

فقالت لها جين:

«لا تخرجي معه بعد اليوم. وانا مستعدة ان اقوم بخدمته وخدمة بيتر، وان اوقظه صباحاً... تجنبيه ما امكن، وتذكري آندي والآنسة لونغدون. فحين يعود آندي، يتغير كل شيء... كنت وحيدة في غيابه، وما فعلته مع ديفيد كان امراً طبيعياً... واقترح عليك ان تكثري من مرافقة آن ودني. فهما يحبان رفقتك... ولن يطول غياب آندي».

وجلست موراغ صامتة تفكر في نصيحة امها. فهي ككل

الامهات تتحدث عن العواطف العابرة، فتتجنب مواجهة وضع كوضعها.

وسرّها انها افشت سرها لأمها، ولكنها اسفت ان تكون سببت لها القلق والانزعاج، فقالت لها بمحبة:

«سأفعل ما تقولينه لي، فلعله يفيد. اشكرك يا اماه... والآن قولي لي: كيف كنت تشعرين حين وقعت في حب والدي؟».

فابتسمت جين واجابت:

«شعرت كما لو كنت امشي على غيمة. كل شيء بدا لي منيراً ورائعاً. ما كان لا يثيرني من قبل اصبح يثيرني فجأة. وبدا لي ان الشمس تشع كل يوم... آه، من الصعب وصف ذلك الشعور. فهو مزيج من الاثارة والرضى في آن معاً... كان ذلك يحدث حين نكون سوية، اما حين نفترق فكان السؤال الذي يمزق احشائي هو: هل يحبني حقاً؟».

ورأت موراغ ان هذا ما تشعر به الآن، كما رأت ان الفرصة مؤاتية لتسأل جين عن الموضوع الذي كان يشغل بالها، فقالت:

«وما هو شعورك نحو بيتر؟».

فضحكت جين وقالت بهدوء:

«اذن، لاحظت ما بيني وبين بيتر... كنا نتحين الفرصة لاخبارك بالامر، لأن هناك بعض الترتيبات التي يجب ان نقوم بها... حبي لبيتر يختلف كل الاختلاف عن حبي لوالدك... لأنه حب امرأة ناضجة في منتصف العمر... هل لك اعتراض على هذا الحب؟».

فنهضت موراغ عن كرسيها واسرعت الى معانقة امها بلهفة وحنان، وهي تقول لها:

«كلا، يا اماه. ولكن كان عليك ان تخبريني بالأمر من قبل. والآن اتمنى لكما كل هناء وسعادة».

فقالت لها جين:

«نعم، كان عليّ ان اخبرك من قبل، ولكنك فتاة يصعب التقرّب منها. . . والآن دعيني اهيىء طاولة الطعام، وستتحدث في الأمر مع بيتر عندما يحضر».

٦ - عين الحب عمياء

في الصباح التالي رنّ جرس الهاتف، فتناولت موراغ السماعة واصغت الى ابن الخادمة ألسي ويتس يقول لها ان امه مريضة ولا تقدر ان تحضر الى الفندق في ذلك اليوم.

وحين نقلت موراغ الخبر الى أمها، قالت لها امها:

«هذا يعني ان عليك ان ترتبي غرف النوم، لأن هذا ما كانت تقوم به ألسي كل يوم ثلاثاء».

وراحت موراغ تغني بقلب منشرح وهي تكنس الغرف وتمسح الغبار. كان الطقس لا يزال رائقاً وجليدياً، واذا استمرّ كذلك طوال الاسبوع، فهذا يعني ان التزلج في نهاية الأسبوع يكون على خير ما يرام. وفي الليلة الماضية قبلت موراغ دعوة آن الى مرافقتها في رحلة

الى مكان يدعى أفيامور، بعد ان شجعتها جين على القبول وتبرّعت بدفع النفقات. كان هذا جزءاً من الخطة التي وضعتها آن لتساعد موراغ على الابتعاد عن ديفيد اجتماعياً، قدر الامكان.

وبعد ان انهت موراغ ترتيب غرفة بيتر وتنظيفها، دخلت غرفة ديفيد للغرض نفسه. كانت الغرفة في مواجهة البحر، فرفعت الستارة عن النافذة وراحت تتمتع بمشهد البحر قليلا. ثم استدارت واخذت تجوب الغرفة بنظراتها، فوجدت ان ديفيد لم ينم في فراشه، فلا بد ان يكون اشتغل طوال الليل وسيعود لتناول طعام الفطور واخذ قسطه من النوم في ذلك النهار. ورأت موراغ ان البزة التي لبسها ديفيد، عند خروجه مع فرجينيا لقضاء السهرة، ملقاة على السرير، فسارعت الى تعليقها في خزانة الثياب. وامسكت موراغ المكنسة الكهربائية وبدأت تكنس السجادة، وهي عازمة ان تنتهي من ذلك قبل قدوم ديفيد.

وفي هذه الاثناء كانت تستعيد ذكرى الحديث الذي جرى بينها وبين بيتر وجين في الليلة الماضية. فعلمت انهما سيتزوجان في مطلع السنة الجديدة، وان الفندق سيباع، وان جين سترافق بيتر الى حيث يذهب بعد ان يكون انهى عمله في المحطة. وكان الاثنان حريصين على معرفة ما تنوي موراغ ان تفعله في المستقبل. فسألها بيتر، وهو الرجل العملي، اذا كانت ستتزوج آندي حين يعود، فاجابته بانها غير متأكدة من ذلك. فهو لم يذكر اي شيء عن ذلك في رسائله. فما عليها الا ان تنتظر عودته.

وفي ذلك الحديث قال لها بيتر ايضاً.

«اذا لم تتزوجي، يا عزيزتي، فبامكانك ان تأتي معنا الى حيث نقيم، والارجح الى اميركا الجنوبية».

فقالت موراغ:

«هذا لا يجوز. سأطلب من آندي ان ينتظر سنة اخرى».

قالت هذا وهي تعلم انها يجب ان تبتّ الأمر عندما يعود. فلو كانت تحبه لكان الأمر سهلا، ولكن كان عليها، وعاطفتها نحو ديفيد على ما هي، ان تنتظر ماذا سيكون مصير هذه العاطفة. هل هي عابرة ام لا؟ فلأيام خلت كانت مستعدة ان تذهب معه الى اقاصي الأرض اذا دعاها، اما الآن فلا.

وفيما موراغ غارقة في هذه الافكار، وهي في غرفة ديفيد، احست بيدين تمسكانها بخصرها من الوراء. فالتفتت، واذا ديفيد يقف خلفها ويقول كلاماً لم تفهمه بسبب صوت المكنسة الكهربائية.

فصاحت به قائلة:

«ماذا تقول؟».

فوضع ديفيد قدمه على محرك المكنسة فانقطع التيار الكهربائي عنه، وقال لها:

«يسرني انك هنا، بدل تلك المرأة الشمطاء التي تنظف الغرفة لي، كما جرت العادة».

فقالت له موراغ:

«السي ليست امرأة شمطاء. وهي لم تقدر على الحضور اليوم لأنها مريضة. فاضطررت ان انوب عنها في تنظيف الغرف».

قالت هذا تحت وطأة نظراته التي كانت تتأملها بنهم، من رأسها حتى قدميها. ثم لم يلبث ان اغلق الباب بسرعة وجذبها اليه وأجلسها بجانبه على السرير.

فقالت موراغ وهي تحاول الافلات منه:

«الا تريد ان تتناول طعام الفطور؟».

فأجابها ديفيد:

«انت دائماً تتهربين من الموضوع حينما تشعرين بالخوف مني».

واخطأت موراغ حين نظرت اليه في محاولة للرد على كلامه، لأنه مال عليها وعيناه تشعان بالضحك. فلما تراجعت قليلا وجدت ان رأسها بين ذراعيه. فقالت له بتضرع:

«دعني. كفاك مداعبة، فأنا لا اطيق ذلك».

واغمضت عينيها، فقال لها:

«ما اجملك يا موراغ، حتى وعيناك مغمضتان!».

فقالت وهي تبذل جهدها للتملص منه:

«هل قضيت، انت وفرجينيا، سهرة ممتعة ليلة أمس؟».

فأجابها:

«قلت لك مراراً ان لا تتدخلي في شؤوني. هذا لا يليق بك. آه، وجودك بقربي شيء عظيم، ولكني الآن متعب ولم انم منذ ليل الأحد».

وأفلت ديفيد يدها، ففتحت عينيها لتراه يقف رافعاً ذراعيه فوق رأسه ويتمطى متثائباً وهو يقول لها:

«اخرجي حالا ودعيني استسلم للنوم».

فتعجبت من وقاحته، ولم تفهم انه قال هذا الكلام عن خبرة بمعاشرة النساء. فهو بذلك وضع اللوم عليها فيما حصل.

وفيما هي تلمّ ادوات التنظيف، قال لها:

«هل انت ذاهبة الى السهرة الراقصة ليلة الجمعة؟».

فأجابت:

«كلا!».

فقال:

«لماذا؟ هل عندك بديل افضل؟».

فاجابت من دون ان تذكر المكان:

«سأذهب الى التزلج!».

فعادت اليه حماسته ومهارته في الاغراء، فقال:

«أتسمحين لي ان ارافقك؟ فأنا لا ابالي بتلك الحفلات الساهرة!».

ففكرت موراغ في نفسها قائلة: «اذن، سيحضر حفلة ساهرة مع فرجينيا. ولكن لماذا يريد ان يذهب الى التزلج؟» وعزمت على التصدي له هذه المرة، مهما استغل دهاءه ومهارته في الاقناع، فرفضت طلبه بحزم.

وسارت صوب باب الغرفة، وهي تدفع المكنسة الكهربائية امامها، فاعترض طريقها بسرعة فائقة وقال لها:

«لماذا ترفضين؟ ظننت اننا صديقان... قضينا وقتاً ممتعاً يوم الاحد الماضي، فلماذا لا نقضي مثله في الاحد المقبل؟».

فنظرت موراغ امامها بحيرة وخوف من ان ينهار سور دفاعها. ثم استجمعت قواها وقالت باصرار:

«كلا!».

وكان قميص ديفيد مفكوك الازرار، فبان شعر صدره الاشقر وخصره الابيض الناصع، مما جعل الدم يجري حاراً في عروق موراغ. ولكنها تغلبت على ضعفها واصرت على الرفض.

وفجأة مال عن طريقها فاندفعت الى الامام مرتعبة ومغتاظة من قوله لها ضاحكاً:

«تعالي الي الساعة الخامسة، يا صغيرتي».

وفيما كانت تفتح الباب لم تتمالك من النظر اليه، فاذا به ينزع عنه قميصه وهو يدير ظهره اليها. فسارعت الى اغلاق الباب وراءها بشدة، علامة الاستياء.

وفي طريقها نزولا على الدرج قالت في نفسها: «لماذا حدث ما حدث؟ وكيف تجرأ ان يعاملها كما لو كانت خادمة في منزل؟» وشكرت الله على انه منحها القدرة على رفض طلبه هذه المرة. فقضاء عطلة اخرى برفقته، لا بد ان يؤدي الى ما لا تحمد عقباه.

واعانها مزاجها الغاضب هذا على تجنبه الى نهاية الاسبوع. وتجاهلت كل من في الفندق ولم تتكلم الا قليلا، مما اقلق امها.

وجاء يوم الجمعة فذهبت موراغ مع رفاقها الى كيرنغورمز للتزلج. وخلال اليومين اللذين قضتهما هناك تمتعت بجميع انواع التسلية والرياضة والرقص والغناء، اذ كان الطقس صافياً وبارداً، والروابي تنعم ببياض بهيّ. وكلما خطرت ذكرى الاحد الماضي ببالها، صرفتها عنها واستسلمت للبهجة والمرح.

ولكن حين افرغت آن ما في جعبتها، ليلة الاحد، من تعليق على احداث النهار واطفأت النور في الغرفة التي كانت تنام فيها، انقلب مزاج موراغ من البهجة الى الكآبة، اذ عاودها شوقها الى ديفيد. وعبثاً حاولت ان تركز افكارها على آندي. فكانت، كلما استجمعت في ذاكرتها صورة وجهه، وجدت ان صورة وجه آخر محتها واخذت مكانها. كان ذلك وجه ديفيد الذي لم يعد يساورها الشك في انها تحبه. . . وهذا الحب لم يكن عاطفة عابرة، كما تظن امها، بل عشق لا يجعلها تريد احدا سواه.

وفي الصباح الباكر، وهي في طريق العودة الى الفندق، سيطر عليها الغم وكرهت الوقت الذي انفقته في تلك العطلة. واذ كانت

تجلس في سيارة دني، اخذت تتطلع من النافذة الى المناظر التي كانت تمرّ بها وهي تقابل في ذهنها بين اسلوب دني المتسارع الفج في قيادة السيارة وبين اسلوب ديفيد الهادىء المنتظم. ثم سألت نفسها هل ستقضي عمرها في مقارنة ديفيد بكل رجل ستتعرف اليه؟

وحين وصلت الى الفندق كان الطقس ماطراً، والمطبخ دافئاً، وجين تعد بعض الكعك. فتبادلت معها التحية بابتسامة باهتة وجلست الى الطاولة.

فقالت لها جين:

«كيف قضيت العطلة؟ هل كان كما توقعت؟».

فاجابت موراغ:

«لا بأس، الفندق مريح وفخم لمن يفضل الفخامة، والطعام شهيّ ولكن ليس كما في فندقنا. وهناك اكواخ للمبيت في الجبل، يمكن استئجار الواحد منها بعشرة جنيهات في الاسبوع. وخطرت لي فكرة وهي ان نستأجر واحداً عندما يعود آندي».

ولاحظت جين انها تبذل جهدها لاظهار حماسها واهتمامها، فقالت لها:

«والتزلج؟ هل كان على ما يرام؟».

فاجابت:

«رائع جداً. وحين رأيت المدربين السويسريين والاستراليين ادركت كم خبرتي بالتزلج ضئيلة!».

فقالت لها جين:

«هل تفضلين ذلك المكان على الذي ذهبت اليه الاسبوع الماضي؟».

فلزمت موراغ الصمت. وهي تساعد امها في تهيئة صواني

الكعك.

ولما طال صمتها قالت لها جين:

«هل تشكين من شيء يا ابنتي؟ اراك شاحبة الوجه قليلا. ارجو ان لا تكوني اكثرت من التزلج».

فاجابت موراغ:

«انا في خير يا اماه. كانت الرحلة متعبة. ودني لا يحسن قيادة السيارة. وانا افضل هوايت كراكز، مع ان سفوحها لا تضاهي سفوح كيرنغورمز في شيء. ثم ان المهم هو الرفاق».

وتوقعت موراغ تلك النظرة التي رمقتها بها جين، ولكنها سرّت حين اخذت جين تحدثها عن شؤونها الخاصة، فقالت:

«كانت السهرة الراقصة ناجحة جداً. جلست انا وبيتر الى طاولة واحدة مع لوندنغز وابنته. يا له من رجل ساحر وراقص ماهر. القى خطاباً رائعاً في الحفلة، وتمنى لبيتر السعادة في زواجه المقبل....».

قالت جين ذلك واخذت تقهقه بهدوء وهي تستعيد ذكرى تلك السهرة. واستندت موراغ بذراعيها الى الطاولة، ووضعت وجهها بين كفيها بانتظار المزيد من حديث امها.

وبعد قليل تنهدت جين وقالت:

«كانت سهرة ممتعة... لولا عيب واحد».

فقالت موراغ بدعابة:

«نعم. كانت الشورباء باردة، وقطعة اللحم....».

فقاطعتها جين قائلة:

«كلا. لم يكن هذا هو العيب. فالطعام كان خيراً من المعتاد....».

وهنا دخل بيتر، قبل ان تكمل كلامها، فقالت له:

«ماذا تعمل هنا في هذا الوقت من النهار؟».

فأجابها بيتر:

«لسبب مؤسف، وهو ان احد العمال وقع وكسر ظهره، ولكنه لم يفارق الحياة. فجئت لأخبر زوجته».

ثم التفت الى موراغ وسألها اذا كانت تمتعت بعطلتها الاسبوعية، فلما اجابت بالايجاب لم يصدقها لأنه قرأ ما كان بادياً على وجهها، فقال لها:

«لا ارى ذلك على وجهك. كان خيراً لك ان تحضري السهرة الراقصة. كانت ناجحة جداً، وقضينا وقتاً ممتعاً. الا توافقين يا حبيبتي جين؟».

فاجابت جين:

«نعم. وكنت اقول لموراغ قبل مجيئك انه كان للحفلة عيب واحد، وهو ان ديفيد لم يقبل بمرافقة فرجينيا، فاستعاضت عنه بشخص آخر يدعى طوني بلاند.

فسألتها موراغ:

«ومن هو طوني بلاند؟».

فأجابتها:

«شاب رائع. وهو يقيم عندنا الآن، لأنه لم يجد مكاناً في فندق رويال».

وقال بيتر:

«هو رجل ذكي، وان لم يظهر ذلك عليه... واعزب ايضاً».

وارادت جين ان تستخبر من بيتر لماذا لم يذهب ديفيد الى السهرة،

فاجابها بانه لم يسأله عن السبب. فما دام الانسان يقوم بوظيفته خير قيام، لا حق لأحد ان يتدخل في شؤونه الخاصة. ولكن بيتر اشار، بطريقة غير مباشرة، الى ان ديفيد اضطرّ الى العمل في المحطة حتى ساعة متأخرة من ليلة الجمعة، فلم يتمكن من حضور السهرة».

وقالت جين:

«مع ذلك، كان عليه ان يخبر فرجينيا انه لن يحضر... كما كان عليه ان يخبرني انه لن يكون هنا يوم السبت حين جاء لوتغدون وابنته فرجينيا لأخذه معهما الى قضاء عطلة نهاية الاسبوع في الشمال. وهذا، على ما اعتقد، تصرف غير لائق. وكانت فرجينيا على يقين انني اعرف اين كان ديفيد، لانها سألتني عنك، يا موراغ، ظناً منها انك ذهبت برفقته الى التزلج، كما في الاسبوع الماضي. وكم شعرت بالارتياح حين عاد الى الفندق ليلة السبت.

وقال بيتر:

«الآن فهمت لماذا هاجته صباح الاحد، عندما جاء لتناول طعام الفطور».

فقالت جين:

«آه، كم كنت اتمنى ان انتف شعره! وكلّ ما فعل، ردّاً على تصرفي نحوه، هو انه اغرق في الضحك قائلا انني اذكره بامه. ولكن، لو كانت امه ادّبته كما يجب، لما تصرف ذلك التصرف مع تلك الفتاة المهذبة».

فهز بيتر رأسه، وهو يحرك فنجان الشاي، وقال:

«لا شأن لي بهذا الامر. وكل ما يمكنني قوله هو ان ديفيد اراد ان يُري فرجينيا انه لا يطيق تحكمها به. فهي متكبرة متعجرفة، كما تعلمين. واعتادت على ادارة شؤون ابيها الاجتماعية والمالية

والادارية، بعد وفاة والدتها».

فقالت جين بغضب:

«لو عاملني اي رجل كما يعاملها ديفيد لنقمت عليه الى الابد».

فنهض بيتر وطوقها بذراعيه قائلا:

«لا احد يجرؤ على معاملتك هكذا، يا حبيبتي، لأنك فهيمة ولا تتدخلين بشؤون الآخرين. وتوفرين كل ما يتطلبه الرجل: الدفء، والطعام الشهي، والكلمة الحلوة، والرفاهية، والاحترام، والسكوت حين ينبغي السكوت. فهذه هي مزايا المرأة الفاضلة».

فسرت جين لهذا المديح وصرحت بانها لا تستحقه. فقال بيتر:

«علي الآن ان اعود الى المحطة. ليته كان بوسعي ان ابقى معكما... وكل ما ارجوه هو ان تكون فرجينيا فهمت الدرس الذي قصد ديفيد ان يعلمها اياه. ففي غضون الاسبوع الماضي كانت تتصل به في المحطة، اعتقاداً منها انها، كونها ابنة رئيس الشركة، تتمتع بحق طلب فرصة لديفيد كلما عنّ لها. وهي لذلك تريد ان يكون مركز عمله في لندن، حتى يرافقها الى كل الحفلات الاجتماعية التي تعشق حضورها... نعم، واظن ان ديفيد في خطر الآن، ويهمني ان ارى كيف سينجو من هذا الخطر...».

قال بيتر هذا الكلام وودع جين وموراغ وخرج عائداً الى المحطة.

وساد الصمت قليلا بعد خروج بيتر وانصرفت جين الى عملها، بينما اخذت موراغ تشرب فنجاناً آخر من الشاي، وهي تحاول ان تحزر اين كان ديفيد مساء السبت.

وقالت جين لموراغ:

«الأن فهمت اي رجل هو ديفيد. فهو لا يفي بوعده، ويحرج موقف الفتاة التي سيتزوجها».

فلم تجب موراغ على ملاحظة امها، لانها لم تشعر بحاجة الى ذلك. فهي تعرف ان ديفيد هكذا، وان كونه هكذا لا يقدم ولا يؤخر على الاطلاق في عاطفتها نحوه.

٧ - الفخ يكاد ينطبق

وافقت موراغ امها على رأيها في طوني بلاند. فهو كان على جانب كبير من دماثة الخلق، بقامته الفارعة وهندامه الرصين. وكان في نحو الخامسة والثلاثين من العمر، ولا تفارق الكآبة وجهه انسجاماً مع نبرة صوته الهادئة المتباطئة، حتى ليصعب التصديق انه ذلك الخبير المالي النابغة، كما وصفه بيتر. فهو من بعض النواحي، مثلما بدا لموراغ، يشبه فرجينيا من حيث اناقته وميله الى الرفاهية في الحياة.

وحدث انه كان، بعد ظهر يوم الخميس، على موعد مع لونغدون وابنته. وكان بانتظارهما في الفندق، وهو يشرب الشاي على مهل ويقضم الكعكة برزانة الغارق في تفكير عميق. وما ان دقت الساعة الرابعة حتى سمعت موراغ التي كانت تخدمه، هدير سيارة تقف عند

الباب الخارجي، فأسرعت لاستقبالها، فاذا بفرجينيا واقفة على عتبة الباب وهي ترتدي الثياب الفاخرة، وشعرها الأشقر يلمع في عين الشمس.

فقالت لموراغ:

«يسرني ان اراك يا موراغ، هل طوني هنا؟».

ولما اجابتها بالايجاب دخلت الى غرفة الاستقبال وقالت لطوني بعد التحية:

«ابي قرر العودة بالطائرة ويرجو ان ترافقني انت بطريق البر، فنقضي الليلة في مكان ما، ثم نتابع سيرنا غداً. . . . هل سلمت ديفيد رسالتي؟».

وفيما هي تتكلم كان طوني يساعدها على خلع سترتها الفرو الثمينة. ثم وضعها بعناية على الكرسي، وجلست فرجينيا على المقعد المجاور. وقالت لها موراغ:

«اتريدين بعض الشاي يا آنسة لونغدون؟».

فأجابتها فرجينيا:

«ما بالك لا تناديني جن؟ نعم، أرحب بفنجان من الشاي، شكراً».

عادت موراغ الى الغرفة تحمل ابريق الشاي ووجدت انهما انارا الغرفة واسدلا الستائر وجلسا يتحدثان بمودة. فما ان دخلت حتى نهض طوني من مكانه احتراماً، وحين سكبت الشاي في الفنجان امام فرجينيا، رفعه مع الصحن والملعقة وقدمه الى فرجينيا. فدهشت موراغ لهذه اللباقة التي لم تر مثلها من قبل.

وهمت موراغ بالخروج من الغرفة، فاستوقفتها فرجينيا قائلة:

«هل تمتعت بالعطلة هذا الاسبوع، يا موراغ. وكيف كان

التزلج؟».

فأجابتها موراغ:

«نعم، شكراً».

فقالت فرجينيا:

«ارجوك ان تجلسي معنا لنتحدث الى ان يجيء ديفيد. وارجو ان لا يتأخر لأننا يجب ان نسافر».

والتفتت الى طوني وتابعت كلامها سائلة:

«هل قلت لي انه من المستحسن ان يرافقنا ديفيد؟».

فأجابها طوني:

«نعم، قلت ذلك. ولكن هذا مستحيل يا فرجينيا».

وجلس بهدوء وتهذيب بعد ان جلست موراغ.

وتأوهت فرجينيا وقالت:

«ديفيد لا يطاق في بعض الاحيان. هل اخبرك لماذا تغيب ليلة الجمعة ونهار السبت؟»

وبعد ان نقرت بأناملها على ذراع المقعد قليلاً، قالت لطوني:

«هل ذكرت له ما اقترحناه في شأنه يا طوني؟».

فأجابها طوني:

«أنت تعرفين جيداً يا فرجينيا ان هذا ليس من اختصاصي. كل ما اعرفه هو ان تشارلز كان هنا البارحة، فطاف وتحدث بخصوص اجراء مناقلات بين الموظفين، ثم طرح الاقتراح على ديفيد».

فقالت فرجينيا:

«وماذا كانت ردة فعله؟ وهل تعتقد انه يقبل بالمجيء معنا الليلة؟ فهو في كل حال سيحضر الى لندن في نهاية هذا الاسبوع ويبقى الى ما

بعد عيد الميلاد...».

فهز طوني رأسه وقال لها:

«من الافضل ان لا تلحي عليه يا فرجينيا... ردة فعله على اقتراح تشارلز لم تكن مرضية... من الضروري جداً ان لا تثيري غضبه... فغضبه يقلق البال لأنه يقوده الى العنف!».

فقالت فرجينيا بخضوع مفاجىء:

«سأعمل بما تقول».

ثم التفتت الى موراغ واعتذرت لها عن اقحامها في هذا الموضوع الخاص بها، وقالت لها:

«ليتك تخبرينا عن رحلتك في نهاية الاسبوع الماضي... فانا اتوق للذهاب الى هناك يوماً ما...».

ومرت الدقائق، وكان الحديث ممتعاً. ووصفت موراغ رحلتها وهي تأمل ان تغادر الغرفة قبل مجيء ديفيد. ثم اخذت تستمتع بكلام طوني على محاولته الأولى والأخيرة للتدرب على التزلج. وفجأة فتح الباب ودخل ديفيد الى الغرفة مبتسماً وغير مبال بما استقبلته به فرجينيا من برودة غير معتادة. فحياها بحماسته المعهودة وقال لها:

«ارجو ان تكوني استمتعت برحلتك الى الهايلاندز!».

فأجابته فرجينيا، والغضب باد على وجهها:

«ما رأيك انت؟ انا غير مجبرة على احتمال تصرفاتك، وخصوصاً منذ ان اتيت الى هذا المكان».

وساد الصمت المرهق قليلاً، ثم قال ديفيد:

«اخبرتك في الاسبوع الماضي انني هنا لأقوم بعملي. وانا احب عملي هذا ولا احد في الكون يقدر ان يحرمني منه... انا لم اعدك بالذهاب معك الى الهايلاندز او الى السهرة الراقصة... انت

افترضت ذلك، كعادتك دائماً».

فاحمرت وجنتا فرجينيا واخفضت نظراتها. واشفقت موراغ عليها لأن ديفيد كعادته يجيب بكلام لطيف يصرف الغضب، ولكنه مليء بوخز الحقيقة.

واستعادت فرجينيا رباطة جأشها بسرعة وقالت لديفيد والابتسامة تعلو وجهها:

«أنا آسفة يا حبيبي. فلا شك اني اسأت فهمك. ولكن، اما انت ذاهب بالطائرة الى لندن غداً، فالاقيك هناك مساء؟».

وبدا ديفيد كأنه لم يكن يصغي، اذ كان ينظر الى موراغ، وهي صامتة ومتضايقة، فتبادله النظرات. ثم قال لها:

«هاي موراغ، اين كنت مختبئة؟».

فأخفضت نظراتها كما فعلت فرجينيا، ولجأت الى القيام بعمل ما. فجمعت صحون الشاي ووضعتها على الصينية استعداداً لحملها الى المطبخ. وحاول طوني مساعدتها فشكرته واكتفت بأن طلبت منه ان يفتح لها الباب. وفيما هي تمر امامه نظر اليها وقال:

«سرني جداً لقاؤك يا آنسة هندرسون. لا شك انني سأراك يوماً ما».

فأجابت موراغ:

«نعم. وداعاً يا سيد بلاند، وشكراً».

ولكن فرجينيا استوقفتها وهرعت اليها قائلة:

«عندما اعود هل اجد غرفة في هذا الفندق لليلتين؟».

فأجابتها بلطف:

«بكل تأكيد، فما عليك الا ان تتصلي بنا انك قادمة. اتمنى لك رحلة سعيدة... وداعاً».

فقالت فرجينيا:

«وداعاً يا عزيزتي. لا تنسي النصيحة التي اسديتها اليك!».

وفكرت موراغ، وهي في طريقها الى المطبخ، أن فرجينيا اظهرت مقدرة على ضبط النفس. فلو كانت مكانها لهاجت وثار غضبها. ولكن فرجينيا، بخلافها هي، تقوى على كبح جماح عواطفها.

وفكرت موراغ ايضاً ان من حسن الحظ انها تجنبت التحدث الى ديفيد في الأيام الأخيرة، وانه لاحظ ذلك منها. واذا بقي الحظ يحالفها، فلن تراه الا بعد عودته من لندن بعد عيد الميلاد. وعندئذ يكون آندي عاد هو ايضاً، فيتقرر مصيرها وتصبح في أمان.

ويوم السبت صعد بيتر وجين الى غلاسكو لشراء بعض الحاجيات لمناسبة الـ [illegible]»، فانفردت موراغ بادارة شؤون الفندق والعناية برون وستيف اللذين لم يبق سواهما من النزلاء، وهما لن يحضرا لتناول طعام العشاء، وهذا يعني ان موراغ لم يكن لها ما تعمله طوال بعض الظهر. على انها لم تجد فائدة في الذهاب لزيارة صديقاتها، لأن كاتي تكون منهمكة مع جوني، وآن مع فرانك. وهكذا لم يبق امامها غير الذهاب في نزهة.

وبعد ان لبست الثياب الملائمة وخرجت لتقفل الباب الخارجي وراءها، سمعت هدير سيارة. فالتفتت لتجد انها سيارة ديفيد الحمراء، فارتبكت واستولى عليها الذعر وهمت بالهرب. ولكنها ضبطت عواطفها هذه المرة ووقفت تنتظره على عتبة الباب، فيما هو يوقف السيارة. وحين اقترب منها قالت له ببرودة انها ظنته سافر الى لندن. فأجابها انه بدل رأيه.

فقالت له:

«انت ماهر في تبديل رأيك!».

فأجابها:

«وانت كذلك».

ورفعت موراغ رأسها بكبرياء. وازعجها ان ترى ابتسامته تتسع، فسألته بجفاف:

«هل تريد ان تتناول طعامك؟».

فأجابها:

«ان لم يكن في ذلك ازعاج لك... اين انت ذاهبة؟».

فقالت:

«في نزهة: بيتر وأمي خارج الفندق... وامي لم تخبرني انك ستعود للغداء... خذ، هذا هو المفتاح».

فتجاهل ديفيد المفتاح وقال لها:

«لم اخبر امك... والآن اريد مرافقتك!».

فأجابته موراغ:

«لا لزوم لذلك!».

فقال لها بلطف:

«هل انت خائفة ايضاً؟».

وتطلع الى شعرها، فمدت يدها واخذت تصلحه عن غير وعي منها.

وتابع كلامه قائلاً:

«احب ان اذهب في نزهة انا ايضاً... فالهواء المنعش مفقود في نوع العمل الذي اقوم به في المحطة. ثم انني لم اشاهدك الا قليلاً في الأيام الاخيرة، واشعر ان صداقتنا لا تنمو كما يجب».

فحدقت اليه ببرودة واجابته بالقبول، بعد ان علمتها تجربتها معه ان لا مرد لارادته.

وبدأت تسير مسرعة الخطى، وديفيد يتبعها متأخراً عنها خطوة او خطوتين. وبعدما خرجت من الباب الخارجي اتجهت الى اليمين وسارت بازاء الشاطىء، بعيداً عن المدينة. وكان جمال الطقس قد جذب كثيراً من الزائرين، فارتفعت على الشاطىء اصوات الأولاد.

وقطعت موراغ مسافة اوصلتها الى خارج المدينة، وهناك قال لها ديفيد:

«هل تمشين دائماً بمثل هذه السرعة؟ ام انك تهربين من احد؟».

فتوقفت عن المشي فجأة فاصطدم ديفيد بها. وحين وقفا وجهاً لوجه، صاحت موراغ به:

«انا لا اهرب مثلك!».

فقال لها بهدوء:

«ماذا جعلك تظنين اني هربت؟».

فأجابته موراغ:

«ذهبت للتزلج معي حين كنت على موعد مع الآنسة لونغدون. ودعتك الى السهرة الراقصة فلم تذهب. وهي تنتظر حضورك الى لندن، وها انت لا تزال هنا... الا تعتقد ان هذا هو الهرب بعينه؟».

فرمقها ديفيد بنظرة حادة وقال لها:

«منذ متى اصبحت تدافعين عن فرجينيا وتراعين خاطرها؟ هي لا تحتاج الى احد في هذا الشأن».

وابتعد عنها قليلاً وتطلع بعيداً صوب البحر، وتابع كلامه قائلاً:

«احب هذا المكان... فيه اتساع وهدوء وسكون. وما اجمل الوانه في يوم بديع كهذا اليوم».

فقالت له موراغ:

«ها انت تعود الى الحيلة ذاتها...».

فالتفت اليها سائلاً:

«اية حيلة؟».

فأجابته:

«تجنب الموضوع والهرب من مجابهته. فانت لم يعجبك كلامي، فغيرت مجرى الحديث!».

فقال لها بجد:

«اسمعي. كنت احسبك تختلفين عن بقية النساء، فاذا بك مثلهن، تريدين ان تعرفي الاسباب والمقاصد والنيات وكل شيء... انا افعل ما افعل لأنه يلائمني. ذهبت للتزلج معك لأنني احببت ان اذهب. وانا لم احضر الحفلة الراقصة لأني اضطررت الى القيام بعمل ما، ولم اسافر الى لندن في نهاية هذا الاسبوع لأني وعدت بيتر بالبقاء الى ان نتم فحص بعض الاجهزة في المحطة، لأننا مصممون على ان نبدأ بتوليد الكهرباء بعد عيد الميلاد.

والآن، هل اعجبك هذا الايضاح؟ وهو امر لم افعله مع اية امرأة ولو كانت صبية حسناء مثلك، لأن النساء لا يحببن الايضاحات، اذ انها ليست الشيء الذي يردن سماعه... هل سألتك لماذا قصدت ان تتجنبيني في الأيام الاخيرة؟ كلا، لأني افترض انك مشغولة في امور كثيرة!».

قال ديفيد هذا الكلام وعاد الى التطلع الى البحر والجزر والجبال المحيطة، في حين احمرت وجنتا موراغ. فهي لم تكن معتادة على مثل هذا الاسلوب الكلامي المتحفظ الذي يخالطه العتاب. ولكنها قالت:

«كان عليك ان تخبر امي انك ستغيب ليلة السبت الماضي، فلو

فعلت لوفرت عليها ما اقلقها جداً».

فقال ديفيد:

«نعم، كان عليّ ان اخبرها. ولكني تعودت ان افعل ما اشاء، وان لا يسألني احد لماذا فعلته... وسأشكر امك يوماً... والآن، اظنك تريدين ان تعرفي اين كنت يوم السبت الماضي... كنت في ادنبره مع اثنين من زملائي في المحطة لمشاهدة المباراة الدولية في الكرة! فهل ارتحت الآن بعدما عرفت اين كنت؟».

وهبت نسمة باردة، فزررت موراغ سترتها وهي تفكر في نفسها انها لن تسأله مرة اخرى ان يوضح اسباب تصرفاته.

ثم قالت له:

«حان وقت عودتي الى الفندق».

وسارا معاً جنباً الى جنب، فسألها ديفيد:

«هذا المركب، الى اين هو ذاهب؟».

فأجابت:

«الى الجزر».

فقال متأسفاً:

«اتمنى لو يتاح لي زيارة احدى هذه الجزر... ولكن لا اظن ان لدي الوقت الكافي قبل ان ارحل عن هذا المكان».

فخفق قلب موراغ حين فكرت انه سيرحل. وحين سألته متى سيكون ذلك اجاب:

«سأذهب يوم الثلاثاء الى لندن لقضاء عيد الميلاد، وسأعود يوم الاثنين التالي وابقى هنا الى السادس من كانون الثاني (يناير)».

فسألته موراغ:

«وبعد السادس من كانون الثاني الى اين ستذهب؟»

فأجابها كالمعتاد:

«لا اعلم. ارجو ان ارتب بعض الأمور الخاصة بي عندما اكون في لندن... وهناك صعوبة، كما تعلمين!».

ثم سألها باهتمام:

«وانت، كيف ستقضين ايام العيد؟».

فأجابت:

«في الفندق كالعادة... مع النزلاء وكلهم متقدمون في السن ويرغبون في الراحة وتغيير المناخ. ولكن لن يكون الأمر كذلك هذه السنة، لأننا سنبيع الفندق في كانون الثاني (يناير)... فأنت تعرف ان بيتر وامي سيتزوجان، كما هو متوقع.

قال ديفيد:

«نعم اعرف ذلك... وهل انت مسرورة وراضية؟».

فأجابت موراغ:

«نعم. دعانا بيتر، انا وامي، لتناول طعام الغداء في فندق رويال يوم العيد. وفي عيدنا الوطني هذه السنة سنحيي حفلة كبرى ندعو اليها جميع اصدقائنا في المدينة وفي المحطة».

اجاب ديفيد:

«سأحضر هذه الحفلة».

وسارا بصمت. وخيّل الى موراغ انها قادرة على السير معه هكذا الى الابد، الى اقاصي الأرض. ونسيت ان تكون دائماً على حذر مع ديفيد الذي قال لها على حين بغتة:

«ستأتين معي الى بيتي في عيد الميلاد؟».

وكانت تتمنى لو ان بوسعها ان تجيب بالايجاب، ولكنها كبتت رغبتها واجابت:

«كيف يمكن ذلك يا ديفيد؟».

فألقى يديه على كتفيها بخشونة وراح يتضرع اليها ان تأتي معه الى بيت والديه للتعرف اليها، والى اخويه مارك وجونتي وعائلتيهما، والى اخيه الآخر كيد العائد من عدن، وبيلي الاصغر سناً والطالب في الجامعة.

فصاحت موراغ تحت وطأة الحاحه:

«لا مكان لي هناك...».

فقاطعها قائلاً:

«بلى، بلى. ما عليك الا ان تأتي. امي تهيء لك مكاناً مريحاً في البيت. فأهلي يسكنون بيتاً ريفياً واسعاً... وأنا سأصطحبك الى لندن لمشاهدة مناظرها الخلابة».

واستغربت موراغ هذه الحماسة المفاجئة التي بدرت منه، فراحت تبحث في ملامح وجهه عما اذا كانت صادقة ام لا. فمثل هذه الدعوة لا توجه عادة الا الى شخص حميم وصديق قديم. وحارت بماذا تجيب، وفي آخر الأمر قالت له:

«بربك يا ديفيد لا تؤذني. انت تعرف انه لا يمكنني ان اذهب معك. فهناك عرس كاتي، وعودة آندي الذي وعدته ان انتظر...».

وافلتت من بين يديه، فوضعهما في جيبه وحدق اليها من تحت حاجبيه المقطبين وقال بهدوء:

«آه، نسيت آندي، لا بأس، انسي دعوتي لك!».

قال هذا وامسكها بيدها وقادها مسرعاً في الطريق. وكانت الطريق نزولاً فتعثرت قدماها وكادت تسقط فتلقاها بذراعيه القويتين وحملها كما لو كانت ريشة. فقهقهت ضاحكة وقالت:

«يا لك من مجنون يا ديفيد!».

ولكنه طوقها بذراعيه وهي تحاول الافلات منه وتقول:

«دعني. الا ترى انني لا اقدر ان اذهب معك الى اي مكان، او ان يكون لي اية علاقة بك؟ تكفيك فرجينيا!».

فافلتها وسار وحده عائداً الى الفندق بخطوات ثابتة واسعة.

٨- عودة الغريم الآخر

وسافر ديفيد يوم الاثنين الى لندن، من دون ان يودّع موراغ التي كانت منشغلة باقامة الزينة والاستعداد لحفلة زواج كاتي. وسرّها ان غضبها الذي اثارته في وجه ديفيد اسفر عن النتيجة المتوخاة. ذلك انه تجاهلها تماماً، والآن بعد ان رحل شعرت انها تحررت من كابوسه الذي عانته طوال الاسابيع الاخيرة.

وسرّها ان تعود الحياة الى رتابتها، وان قلبها لم يعد يخفق كلما رأت ديفيد يصعد الدرج قافزاً او يختفي خارجاً من الباب. نعم، سرّها ذلك ولو انها لم تزل تشعر بالغصة. ففي محاولتها الاساءة اليه اساءت الى نفسها اكثر. ثم انها لامت نفسها على ما صدر عنها من تصرّف فظّ نحوه، وهو الذي لم يظهر لها الا اللطف والتفهم.

ووصل آندي الى الفندق، مساء يوم الثلاثاء، ببزته الرسمية وشعره الكستنائي المرتب. كان قصير القامة رقيقها، بحيث ظهرت موراغ اطول منه مع انه يزيدها ببضعة سنتمترات. الا انه من النواحي الاخرى لم يتغيّر، بل بقي ذلك الولد الذي رافقها في المدرسة.

وادركت موراغ ان آندي لن يفاتحها بالزواج في الحال، وانما يفضّل ان يتريّث بعض الوقت. ولم يزعجها ذلك، لأن وجوده لم يثر فيها اية بهجة، وحين ودّعها ليذهب الى اهله لم تأسف لوداعه، بل نسيته حالما خرج من الباب.

وكان يوم الاربعاء، يوم العرس، مشمساً على رطوبة واعتدال. وفيما العروسان، كاتي وجوني، يستعدان للذهاب في شهر العسل، فكّرت موراغ انه ليس من الضروري ان يكون اثنان في غرام عنيف حتى يتزوجا. واذن، فلعل الصداقة غير المثيرة التي تربطها بآندي كافية لتكون اساساً لزواج سعيد.

وحين صعد العروسان الى السيارة رمت كاتي بباقة الزهور الى موراغ قائلة:

«خذيها يا موراغ... انت العروس المقبلة!».

فامسكت موراغ باقة الزهور، وآندي الى جانبها، وهي تشعر انها كانت محطّ انظار الحاضرين وتمنياتهم لها بزواج سعيد من آندي.

وهكذا وجدت نفسها امام الامر الواقع الذي لا غرام فيه. ولكن اي شأن للغرام في مجرى الحياة العادية؟ فهي في الايام القليلة التالية، بعد ان عادت الى علاقتها الماضية مع آندي، بدأت ترافقه الى حفلات الرقص، وتتحدث اليه عن ناقلة النفط التي كان يعمل على متنها، وتضع معه الخطط للذهاب الى التزلج على الثلج

وما الى ذلك، حتى انها دعته الى تناول طعام الغداء يوم العيد مع بيتر وجين.

وكانت موراغ في كل هذا تراقب آندي عن كثب، فلاحظت وجهه الفتي الخالي من اية تجاعيد، وآراءه الفجة بعض الشيء، وموقفه الساذج نحو العمل في الحياة. فكل ما كان يهمه هو ادخار المال والحصول على ما امكن من اوقات الفراغ. ومع مرور الايام تناقص شغفها به، حتى كانت لا تجيبه او تصغي الى كلامه.

وفي آخر الامر، وكان ذلك يوم احد، لاحظ آندي ما اصبحت عليه حال موراغ معه. ففيما هما يتسامران خامره شعور بان شيئاً ما قد انطفأ في قلبها وانها لم تعد تتجاوب معه كالعادة. فانتفض ونظر اليها بعينين رماديتين وقال لها:

«ما بك؟ تغيرت كثيراً عما مضى!».

فاجابت موراغ:

«لا شيء... ثوبي هذا جديد، ولكن شعري لا يزال كما كان!».

فقال لها آندي:

«لا اعني ذلك. اعني انك تتصرفين كما لو كنت امرأة ناضجة، فلا يعجبك ما كان يعجبك من قبل. تذكري كيف كنت، مثلاً، ترقصين بحماسة كدت تفقدينها اخيراً...».

فضحكت موراغ قائلة:

«وهل هذا مهم؟».

فأجابها آندي:

«كان يهمك من قبل، اما الآن فماذا جرى؟ اشعر كأني لم اعد اعرفك. وكلما جلسنا معاً يخيّل الي انك على بعد اميال مني!».

ولم تكن موراغ تظن انه شديد الملاحظة الى هذا الحدّ. فبات عليها ان تبذل مزيداً من الجهد لتظهر اكثر اهتماماً به. يكفي ان يكون في نظرها شاباً وسيماً ومخلصاً، وان يوفر لها السياج الذي يحميها من ديفيد. ولذلك لبست قناع الخفة والمرح وقالت له:

«كفاك يا آندي... كلانا تغيّر قليلا نحو النضوج... افلا تظن ان هذا امر طبيعي؟».

وابتسمت قليلا في وجهه، فسرّها انه بادلها الابتسامة وقال لها:

«الحق معك. ولكن شيئاً واحداً لم يتغير، وهو انك تبدين رائعة الجمال حين تبتسمين هكذا».

وجاء يوم الاثنين، واخذ الناس يستعدون للاحتفال بعيد رأس السنة. وعاد مهندسو المحطة الى عملهم ونزلوا في الفندق. وكان ديفيد آخر العائدين، فيما كانت موراغ تتأهب للخروج مع آندي برفقة آن وفرانك. فما ان سمعت وقع خطواته وهو يدخل البهو، حتى خفق قلبها والتهب خدّاها. فقالت في نفسها: اذا كانت هذه ردة فعلي قبل ان اراه، فكيف ستكون، اذن، بعد ان اقف امامه وجهاً لوجه؟

وقررت موراغ ان تمتحن شعورها غداً صباحاً، بالعودة الى تقديم طعام الفطور. وحين فعلت، لم تحظ من ديفيد الا بنظرة حادة قاسية وصمت مطبق. وبدا ديفيد بصحة جيدة بعد العطلة. فزال الشحوب الذي كان يعلو وجهه بتأثير السهر والعمل الشاق، وزاد لمعان شعره الذهبي. وعلى العموم، كان يزخر بحيوية وتّرت اعصاب موراغ الطرية.

وقالت موراغ في نفسها: كيف يجرؤ ان يقف منها، بعد عودته، ذلك الموقف اللامبالي؟ لا شكّ انه يخلو من اي شعور.

وعاد العمل في المحطة الى سابق عهده من الاهمية القصوى، وبذلت جين وموراغ جهدهما، كالعادة، في القيام بتهيئة الطعام للعاملين في المحطة، عند رجوعهم الى الفندق في ساعات متفاوتة. وكانتا ايضاً تستعدان للحفلة التي ستقيمانها لمناسبة العيد الوطني. وسرّهما ان يتطوع آندي لمساعدتها، فنقل صناديق الشراب، واستعار الاقداح والفناجين من الاصدقاء والجيران، وشارك في غير ذلك من الاعمال التي لا تقدران على القيام بها. وحين عاد الى الفندق في المساء، كانتا مسرورتين للترحيب به وشرب الشاي معه.

وقالت له جين:

«شكراً لك يا آندي على مساعدتك ايانا اليوم... فلولاك لا اعلم ماذا كنا فعلنا...».

فأجاب آندي:

«لا شكر على الواجب... ستكون الحفلة رائعة... وسيحضرها من المدعوين اكثر مما مضى... في ايامي انا على الاقل».

فقالت جين:

«نعم. أنا دعوت العاملين في المحطة وجميع الاصدقاء والاقرباء. فهذا العيد آخر الاعياد التي سأحضرها في هذا الفندق. والآن اخبرني يا آندي: هل توصلت انت وموراغ الى قرار بصدد زواجكما؟».

واطرقت موراغ برأسها وتجنبت النظر الى آندي حتى لا تساعده على الجواب. وتنحنح آندي، لكن قبل ان يجيب فتح الباب ودخل بيتر مسرعاً واتجه نحو جين، فحيّاها وصاح باعلى صوته صوب الباب:

«ادخلوا يا شباب...».

فدخل رون وستيف وريغ، وقال بيتر بلهجة المنتصر:

«نجحنا... في هذه اللحظة، اذا لم يحدث ما لم يكن في الحسبان، ستبدأ المحطة بتوليد الكهرباء!».

والتفت الى جين وقال لها:

«أتسمحين لنا يا حبيبتي بالاحتفال قليلا لهذه المناسبة؟».

فاجابته جين برحابة صدر:

«اهلا وسهلا بكم... تفضلوا».

وبعد ان خلعوا معاطفهم وجلسوا حول زجاجة من الشراب، قال رون:

«عندما مرض تيد ظننت ان التوصل الى هذه النتيجة في المحطة لن يتم... الى ان تمكن بيتر من الحصول على ديفيد...».

وقال ستيف موافقاً زميله رون:

«نعم. هذا صحيح. ويؤسفنا انه سيترك العمل في المحطة قريباً... يا له من معين في المآزق... انه جريء في اتخاذ القرارات حالا وسريعاً، ولا يهمه ان يتحمّل المسؤولية اذا وقع اي خطأ...».

واضاف ريغ قائلا:

«كم وقعنا في المآزق خلال الاسابيع الاخيرة الماضية، والآن انا سعيد ان انام الليلة ملء جفنيّ...».

وهنا سأل بيتر اين ديفيد، فاجابه رون بانه سيحضر بعد قليل. ولم يكد رون ينهي كلامه حتى سمع صرير باب البهو وصوت تحطم الزجاج على الارض. وساد الصمت في المطبخ، فاتجهت الانظار الى جين. وفجأة انفجر الرجال بالضحك حين دخل ديفيد الى الغرفة،

وعيناه تشعان بالمرح وهو يقول:

«معذرة يا جين. . . افلت الباب من يدي فانطبق بسرعة وتكسر زجاجه!».

ثم اقبل عليها بحماسة وطوّق خصرها بيديه القويتين ورفعها عالياً وهو يقهقه ضاحكاً. فاستنجدت جين ببيتر مازحة، فقال لها:

«ديفيد يفعل ما يراه حسناً، ولا مردّ لذلك. . . فما عليك الا ان تستعطفيه. . .».

وبعد فترة من الدعابة والمزاح اشترك فيها الجميع، جرى الحديث عن المحطة والصعوبات التي برزت في المرحلة الاولى، فقالت موراغ بعد صمت طويل.

«اود ان اعرف لماذا كان العمل في المحطة بطيئاً في بادىء الامر، ثم تسارع خلال الاشهر الستة الماضية الى حد الجنون؟».

فاجابها ستيف:

«هذه طبيعة المقاولات الانشائية. يجلس المهندسون شهوراً عديدة يرسمون الخرائط التي لا يستعملون منها الا القليل، ثم فجأة يبدأ العمل بسرعة لا تطاق. . .».

وتواصلت الاحاديث، بينما جين تقوم بتهيئة طعام العشاء، وآندي الجالس بقرب موراغ يستفهم من بيتر عن مجرى العمل في المحطة، وديفيد صامت على غير عادته ويداه في جيبي سترته.

وحدقت اليه موراغ بامعان، فلاحظت ان وجهه الوسيم كان شاحباً ومتعباً. واذ زالت عنه البشاشة وسعة الحيلة، بدا صلباً قاسياً.

ثم لم يلبث ان افرغ كأسه، وفيما هو يضعها نظر الى آندي نظرة فاحصة، تحوّلت بعد قليل الى موراغ، فهزت رأسها وعزمت بينها

وبين نفسها ان لا تقع هذه المرة ايضاً تحت وطأة سحره. فهو بعد ايام سيرحل الى حيث اتى، فاذا لم تقاومه تركها وحيدة بائسة.

وخرج الرجال لتغيير هندامهم استعداداً لتناول طعام العشاء، ثم عاد بيتر بعد قليل ليقول لموراغ:

«لا تقومي بخدمتنا هذا المساء يا موراغ، فعندك مهام اخرى تقومين بها. يكفي ان تضعي الطعام على كوة المطبخ ونحن نخدم انفسنا ثم تذهب الى النوم باكراً لأن الغد سيكون يوماً آخر من العمل الشاق. . .».

ثم التفت الى جين وقال لها:

«سيقيم النادي حفلة عشاء غداً مساء، فاخبرتهم انك منشغلة لا تقدرين ان تحضري. ولكني ساحضره مع زملائي لوقت قصير، ثم نعود الى هنا».

وخرجت موراغ مع آندي الى الباب الخارجي وكان زجاجه لا يزال منتثراً على الارض، فقالت:

«ما هذا؟ يجب ان ازيله وانظف المكان».

فقال آندي:

«هذا من واجب الذي حطمه!».

اجابت موراغ:

«لا. فهو متعب جداً. كان يعمل في المحطة بغير انقطاع طوال الاسبوع».

فسألها آندي:

«من هو؟ لم يكن هنا في السنة الماضية».

فاجابته موراغ:

«ديفيد هاكيت. جاء الى هنا منذ تشرين الثاني (نوفمبر)

الفائت!».

فقال آندي:

«لم يمل قلبي اليه».

فاحتجت موراغ قائلة:

«ولكنك لم تتعرف اليه الا منذ حين».

فقال آندي:

«اعرف ذلك. يبدو لي انه يتصرف كما لو كان هنا منذ امد طويل».

فاجابته موراغ:

«كلهم كذلك، لأن والدتي تجعلهم يشعرون كأنهم في بيوتهم».

وكانت موراغ، خلال هذا الحوار، في موقف المدافع، وشعر آندي بذلك فازورّت عيناه وقال:

«انت تميلين اليه، والا لما اسرعت للدفاع عنه!».

فاجابت موراغ بغضب:

«كفى».

وعندما تطلعت الى وجهه ورأته عابساً، اخذت تقهقه ضاحكة، مما أغاظ آندي. فقال لها:

«ماذا يضحكك؟ لم اقل ما يثير الضحك!».

ثم امسكها بكتفيها وهزها قائلاً:

«ما هذا التصرّف يا موراغ. لم اعد قادراً على فهمك!».

وهنا فتح الباب وراءهما وتعالت الاصوات في البهو، ثم اغلق الباب وابتعدت الاصوات. وكان آندي يهم بمعانقة موراغ، فاضطر الى تركها بغتة، مما اثار غضبه. فخرج من الفندق من دون ان يتفوه

بكلمة.

والتفتت موراغ فرأت ديفيد، وسترته على كتفه، يصعد الدرج على مهل، من دون ان ينظر الى الوراء.

ورن جرس الهاتف، فامسكت موراغ السماعة، فاذا بصوت فرجينيا على الطرف الآخر من الخط.

«هالو، أنا فرجينيا، اسمعي يا عزيزتي! هل يوجد مكان لي في الفندق لبضعة ايام؟».

فاجابت موراغ:

«نعم، بكل تأكيد. متى ستأتين؟».

فقالت فرجينيا:

«حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف».

وبعد تردد قالت لها موراغ:

«لا شك ان ديفيد يجب ان يلاقيك في المطار، وهو الآن هنا، اتريدين ان تتحدثي اليه؟».

فاجابتها فرجينيا:

«كلا. لا اريد ان اتحدث اليه الآن، بل غداً. ارجوك ان لا تقولي له او لبيتر اني قادمة. اريد قدومي ان يكون مفاجئاً. يجب ان ارى ديفيد لأمر ضروري يتعلق بوظيفته الجديدة. ففي خلال عطلة العيد لم نتمكن من اكمال الترتيبات اللازمة، ولكني اكملت كل شيء الآن... واظن انه سيكون مسروراً جداً...».

وبدا من كلامها انها حرصت على ان تكون موراغ على بينة من الامر، وهو انها هي التي تقرر شؤون حياته.

فقالت لها موراغ:

«سنقيم حفلة راقصة مساء غد. فاذا كنت ستتحدثين الى ديفيد

بمثل هذه الامور الخاصة، الافضل ان تنزلي في فندق رويال. فسيكون هنا في الفندق جمع غفير».

فقالت لها فرجينيا:

«لا، هذا لا يهمّ. اريد ان اكون بقرب ديفيد وامك العزيزة. اشكرك لأنك اخبرتني بالحفلة. سألبس الثوب الملائم لتلك المناسبة. وداعاً يا عزيزتي، والى اللقاء!».

ووضعت موراغ السماعة بهدوء، فسمعت ضحكاً في غرفة الطعام. اما هي، فشعرت بالأسى لانها تحب الشخص الذي لم يكن لها. ولكنها قررت ان تحاول اقناع نفسها بالزواج من آندي لأنه شاب يمكن الوثوق به والاعتماد عليه.

٩ - عصفوران وقفص واحد

قالت فرجينيا ضاحكة وهي تتبع موراغ الى الفندق ليلة عيد رأس السنة:

«يبدو ان الحفلة تعج بالأنغام الراقصة».

فمن غرفة الطعام، حيث اخليت من الأثاث، كانت الأنغام تتعالى على وقع اقدام الراقصين والراقصات. وعبر البهو، في غرفة الاستقبال، كانت الضوضاء تصم الآذان، بينما جين تحتفي بصديقاتها واصدقائها على نحو اكثر ملاءمة للذوق المألوف.

وقالت موراغ لفرجينيا:

«ساصعد معك الى غرفتك».

وكانت فرجينيا ترتدي هنداماً رائعاً، فأجابت:

«شكراً يا عزيزتي. ولكن لا تبتعدي عن اصدقائك وصديقاتك طويلاً. فسأسرع بتبديل ثوبي بثوب يليق بهذه الحفلة!».

وفي غرفة النوم الضيقة اخذت تخلع ثوبها وتنزع قبعتها وهي تتمتم كلمات الاعجاب بما تراه عيناها في الغرفة حولها. ثم قالت لموراغ:

«اخبريني اين يمكنني ان اجد ديفيد؟».

فأجابتها موراغ:

«لم يحضر بعد. هناك حفلة في النادي على شرف العاملين في المحطة، واظن ان ديفيد وبيتر يحضرانها. وسيعودان بعد نصف الليل بقليل، كما هو متوقع».

فقالت فرجينيا بابتسامة لا تخلو من الدهاء:

«حسناً، سأكون على استعداد في ذلك الحين. هل كان سلوك ديفيد على ما يرام؟».

فهزت موراغ رأسها بلا مبالاة واجابت:

«اظنه كذلك. لم اره الا قليلاً. كان هو وزملاؤه في المحطة منشغلين جداً».

فقالت فرجينيا:

«وهذا حسن ايضاً، ويسرني ان اسمعه. والآن عودي سريعاً يا عزيزتي، وسأتبعك بعد قليل».

وشعرت موراغ، وهي في طريقها نزولاً الى الحفلة، انها كتلميذة صرفتها معلمتها.

وانتصف الليل فعاد بيتر والاخرون. وعلا ضجيج الحفلة، واشتد المرح، وكثر الطعام والشراب. وفيما كانت موراغ تنقل بعض الكؤوس من المطبخ، قررت ان تذهب للبحث عن آندي لعله يأتي لمساعدتها. وما ان خرجت من باب المطبخ حتى وجدت نفسها بين

ذراعي ديفيد.

فضحك ديفيد وقال لها:

«امسكتك الآن، وعبثاً ترفضين هذه المرة، والليلة عيد رأس السنة».

وحاولت موراغ الافلات من بين ذراعيه، ولكن عبثاً. فحرارة جسمه بعثت الدم حاراً في عروقها، فاستسلمت راضية. وسمعته يتمتم في اذنها كلاماً لم تفهمه، فيما اخذ يطوقها برفق.

وسمعا وقع اقدام مقبلة نحوهما، فاذا بفرجينيا تنادي:

«هل انت هنا يا حبيبي ديفيد؟ انا ابحث عنك».

فانسلت موراغ من تحت ذراعه وهو يجيب:

«جين! متى جئت الى هنا؟».

فقالت له:

«كيف اقوى على فراقك يا حبيبي. قل لي ان مجيئي هو مفاجأة سارة ثم اني احمل اليك خبراً ساراً... ابي يعرض عليك اقتراحاً اظن انك سترحب به...».

وفي غرفة الطعام وقفت موراغ تقول لنفسها ان ما حدث لم يكن الا بتأثير العيد... وتغيرت الموسيقى، فاعتقدت ببلاهة ان آن ودني لا بد ان يكونا قد وصلا، مع ان دني كان يعزف على قيثارته انغاماً طرب لها الراقصون والراقصات، فراحوا يتمايلون ويغنون ويملأون المكان بالضجيج والهتاف.

واقترب آندي من موراغ وجذبها الى حلبة الرقص وهو يقول لها بصوت ارتفع فوق انغام الموسيقى:

«انها حفلة رائعة يا موراغ؟ هل انت سعيدة؟».

ولما لم تجب بحماسة، بل كان في لهجتها شيء من الحيرة

والضياع، توقف عن الرقص وشد على يدها قائلاً:
«ما بك؟ يبدو عليك انك كمن اصيب بهزة ما. فوجهك لا لون فيه».
فقالت له:
«لا شيء... مجرد تعب وهيجان!».
فأجاب:
«قد لا يكون هذا الوقت ملائماً... ولكني لم اعد اتحمل الانتظار.. موراغ، هل تتزوجينني.. في الصيف؟ ساسافر هذه المرة لستة اشهر فقط، فنعقد خطوبتنا رسمياً قبل ان اسافر، وفي غيابي تقومين بجميع الترتيبات اللازمة لزواجنا.. موراغ، هل تقبلين؟».
وظهر اهتمامه الشديد بالجواب على وجه الفتى. كان هذا اول دعوة له للزواج منها، دعوة لم تكن بمناجاة تحت ضوء القمر، بل سؤال متردد واجف يطرحه فتى يلهث من شدة الاضطراب، وهي عرفته طوال حياتها.
وشعرت موراغ، بعد الذي حدث لها في البهو، انها تريد البكاء اشفاقاً على نفسها. ثم نظرت عبر آندي الى حيث وقفت فرجينيا، وذراعها بذراع ديفيد، وعلى وجهها ابتسامة الرضى. وكان ديفيد لا يظهر اي اهتمام بما يجري.
وتطلع آندي الى موراغ وحثها على اجابة طلبه، فقالت له:
«نعم، كما تريد يا آندي».
فصاح آندي طرباً:
«هل نعلن هذا الخبر على الجميع الآن؟».
فأجابت موراغ:

«كلا. دعنا ننتظر. يجب ان اخبر امي اولاً، ووالديك ايضاً. وسنخبر الآخرين غداً في هوايت كراكز بعد التزلج على الثلج... هل سألت اباك اذا كان يعيرك سيارته؟».
فقال آندي:
«نعم، سألته فوافق. سآتي لاصطحابك نحو الساعة العاشرة من صباح غد... ومن الصعب، بعد هذه الساعة المتأخرة من الليل، ان نبكر في الذهاب اكثر من ذلك...».
فقالت موراغ:
«فليكن. اما الآن، فتعال نرقص يا آندي!».
وانتهت الحفلة في الخامسة صباحاً. وبلغ التعب بموراغ الى حد الاعياء، فما ان استلقت على فراشها حتى غرقت في نوم عميق.
وفي الساعة التاسعة ايقظها المنبه، فنهضت وحاولت ان تتجنب التفكير في ما جرى لها خلال الليلة الفائتة. وبعد ان عجلت بارتداء ثياب التزلج، وهيأت كل ما يلزمها من الحوائج، نزلت الى المطبخ. وكانت جين هناك، وآثار التعب على وجهها، ولكنها احتفظت بابتسامة الرضى وهي تهيىء طعام الفطور. فلما دخلت موراغ بادرتها بالقول:
«ما اجمل هذا الصباح... بداية رائعة لعام جديد. ويبدو لي انك ستقضين نهاراً ممتعاً...».
وكان ايان، صاحب اكواخ التزلج على الثلج، قد اخبر آن بأن الثلج كثيف وصالح جداً للتزلج في ذلك النهار.
وقالت جين:
«النزلاء كلهم نيام، ولا انتظر ان يستفيقوا حتى الظهر، وخصوصاً فرجينيا وديفيد اللذين بقيا ساهرين حتى الخامسة والنصف

صباحاً. وكنت اسمع صوتها يخرج من غرفة الاستقبال. . . آه، كم كانت رائعة في الحفلة تلك الليلة! الا تعتقدين ذلك؟».

فوافقت موراغ على كلام امها، ثم رأت ان الوقت ملائم لاذاعة الخبر، فقالت:

«اماه، قررنا، انا وآندي، ان نعقد خطوبتنا رسمياً، على ان نتزوج في الصيف، حين يعود من سفرته المقبلة. طلب مني ذلك خلال الليلة الفائتة!».

ودهشت حين لم تجبها امها في الحال، بل اخذت تلم الصحون عن الطاولة وتحملها الى المجلى. ثم عادت الى الطاولة وجلست ونظرت الى موراغ نظرات فاحصة، وقالت:

«هل انت متأكدة؟ لا يبدو عليك انك مسرورة».

فأجابتها موراغ:

«طبعاً متأكدة. انت قلت ان كل شيء يكون على ما يرام حين يعود آندي. والآن صح قولك. ولكن لا تخبري احداً، بل انتظري حتى يعود آندي من سفرته المقبلة، وعندئذ نقيم حفلة تدعو اليها والديه وجميع اصدقائنا».

وكم شعرت بالارتياح حين زال القلق عن وجه امها وظهرت عليه بشاشته المعهودة وهي تقول لها:

«ماذا لو اعلنا الخبر في حفلة زواجنا انا وبيتر؟ آندي واهله يكونون هناك. . . لا شك ان بيتر سيفرح حين يسمع انك توصلت الى قرار، وهكذا الجميع. فكلهم يسألونني دائماً متى تتزوجين آندي. . . انتما صديقان منذ الطفولة، والناس في هذه المدينة يحبون علاقات الغرام. . . والآن، هل انت ذاهبة الى التزلج؟».

فقالت لها موراغ:

«نعم. آندي سيزور مكتب شركته، فلا يهم اذا غبت مدة يومين. . . وداعاً، سأراك يوم الاثنين».

واقبلت موراغ ومن يرافقها على التزلج بحماسة شديدة. كان الثلج كثيفاً وصلباً، مما جعل التزلج ممتعاً جداً. ووجدت موراغ ان الرياضة افضل وسيلة لصرف ذهنها عن التفكير في ديفيد. ولذلك لم تنظر بعين الرضى الى الشمس وهي تميل الى الغروب، والى الغيوم وهي تؤذن بسقوط الثلج.

وبعد ان قامت بدورة تزلج اخيرة، اتجهت نحو الاكواخ فتلقاها ايان قائلاً:

«هل على السفح احد؟».

فأجابت موراغ:

«كلا. انا كنت الأخيرة. الا تعرف ذلك من دفتر الغياب؟».

فتناول ايان الدفتر وقرأ اسماء الذين عادوا من التزلج وكتبوا اسماءهم في الدفتر، ثم نظر الى موراغ وقال لها:

«صاحب الشعر الذهبي لم يعد بعد!».

فصاحت موراغ:

«تعني ديفيد هاكيت؟».

فأجابها ايان:

«نعم، هذا هو. عرفته لانه جاء بصحبتك من قبل. وصل في الساعة الثالثة وقال انه ذاهب ليفتش عنك. فاقترحت عليه ان ينتظرك لأن الوقت متأخر ولأنك صعدت عالياً على السفح، ولكنه لم يوافق. فهل تلاقيت به؟».

فقالت موراغ:

«كلا. كان من الصعب ان اتبين الاشخاص، لانني نزلت

سريعاً وكانت العتمة اخذت تخيم».

فقال ايان:

«ربما. ولكن اظن انه عاد ونسي ان يكتب اسمه في الدفتر. فهنا شخصان آخران وصلا منذ ربع ساعة وسألا عنه وعنك».

وبعد ان غرز اصابعه في شعره الكثيف الشائب، تابع كلامه قائلاً:

«تلك المرأة الشقراء التي كانت ترافقه سلمتني رسالة من والدتك توصيني بهما خيراً لأنهما من اصدقائكم. وحيث انهما لم يحضرا للتزلج، رأيت ان آخذهما الى المزرعة وهما يبيتان الليلة هناك».

فصاحت موراغ بدهشة:

«هذه فرجينيا... والرجل، ما هي اوصافه؟».

فأجابها ايان:

«طويل ونحيل، وكلامه هادىء رضين».

فقالت موراغ:

«هذا طوني بلاند. ولكن لماذا جاء الى هنا؟».

فهز ايان كتفيه وقال لها:

لا اعلم. جين قلقة عليك، فلماذا؟ هل في سلوكك ما يثير القلق؟».

فأجابت موراغ:

«لا. لا.».

فقال لها ايان:

«الآن عليك ان تذهبي اليهما. واذا كان ديفيد هاكيت معهما، فأخبريه اني اكون شاكراً اذا هو جاء وكتب اسمه في دفتر الغياب».

ولم يكن ديفيد مع فرجينيا وطوني في الكوخ القائم في المزرعة.

كانا جالسين وحدهما امام موقدة تضطرم بالنار.

فلما دخلت موراغ، صاحت فرجينيا قائلة:

«ها هي موراغ... شكراً لله».

ووقفت تحييها، فيما نهض طوني وصافحها مصافحة رسمية وهو يقول:

«ها نحن التقينا ثانية يا آنسة هندرسون. والتقينا باسرع ما توقعت، وفي ظروف غريبة. وارى من واجبي ان اقول انني سررت جداً بهذه الضيافة التي صادفناها في هذا المكان المقفر...».

وقالت فرجينيا:

«اين ديفيد يا عزيزتي موراغ؟».

فأجابت موراغ:

«لا ادري. لم اشاهده. قد يكون في كوخ من تلك الاكواخ... سأذهب وافتش عنه... لماذا جئت الى هنا؟».

قال طوني بهدوء، قبل ان تفتح فرجينيا فمها:

«انا جئت لأمنع فرجينيا من ارتكاب ما يسيء اليها. وارجو هذه المرة ان انجح في مهمتي اكثر من المرات السابقة».

صاحت به فرجينيا قائلة:

«كفاك يا طوني... انا لم اطلب منك ان ترافقني... ديفيد موجود هنا... رأيت سيارته الحمراء...».

فقال لها طوني:

«كان عليك ان لا تأتي الى هنا...».

والتفت الى موراغ قائلاً:

«هل تظنين يا آنسة هندرسون ان ديفيد هناك على سفح الجبل؟».

فأجابت موراغ:

«قال لي ايان انه لحق بي، ولكنه لا بد ان يعود قريباً. . . سأذهب لارى اذا كان في احد الأكواخ، او اذا كان احد رآه».

فقالت فرجينيا:

«شكراً لك يا عزيزتي. قولي له اننا هنا، ونريد ان نراه».

ولم يكن ديفيد في أي مكان في الأكواخ، ولا رآه احد. فذهبت وانزلت ادوات التزلج من مكانها المعين، ثم خرجت الى الهواء الطلق.

وكان لا يزال في الفضاء قليل من الضوء، وكانت الغيوم تتجمع وتهبط الى رؤوس التلال، والدلائل تشير الى ان الثلج على وشك السقوط.

وزررت موراغ سترتها وربطت قبعتها استعداداً للصعود الى السفح للبحث عن ديفيد. فما ان همت بالصعود حتى سمعت ايان يناديها قائلاً:

«اين انت ذاهبة؟».

فأجابت:

«انا ذاهبة للبحث عنه. فهو لا بد ان يكون هناك!».

فلم يرق ذلك لايان فصاح بها قائلاً:

«يا لك من فتاة معتوهة. الا ترين ان الظلمة تخيم على الارجاء، وان الثلج على وشك السقوط؟».

ولكن موراغ لم تبال بهذا الانذار، لأنها كانت متأكدة انها على حق فيما تفعل، فقالت لايان:

«هو لا يجيد التزلج، ولذلك لا يقدر على العودة وحده من دون معين. وفضلاً عن ذلك فهو يجهل المكان».

فقال لها ايان:

«دعيني ارسل فريق انقاذ للعودة به. . . هذا اذا كان احد يجرؤ على صعود السفح في هذه الأحوال الخطرة. . .».

فأجابته موراغ:

«لا. انه لا يجب ذلك. سأذهب بنفسي، ولكن ارجوك ان تعيرني مصباحاً. فاذا وجدته وكان مصاباً بأذى، عدت اليك في الحال. اما اذا لم اعد، فذلك يعني اننا في الكوخ معاً. . . والآن علي ان اسرع في الذهاب. . .».

ولم يقل ايان شيئاً، لأنه فهم موقفها. فتركها تذهب.

لبست موراغ حذاء التزلج واخذت تصعد السفح بمعونة العكازتين اللتين كانت تغرزهما كلما تقدمت خطوة الى الأمام. وكانت تتوقف بين الحين والآخر وتنادي ديفيد، وكفها حول فمها، ثم تنتظر الجواب.

ووصلت على مهل الى قمة اول سفح، فرفعت المصباح وادارت نوره في كل اتجاه، وهي تنادي من دون جدوى. وكانت عزيمتها تشتد على مقاومة الصعاب كلما فكرت بأن ديفيد قد يكون في خطر مداهم. وعلى الرغم من الظلام والثلج الغادر اخذت تتسلق سفحاً آخر اكثر انحداراً من سابقه.

وفيما هي في طريقها، تصرخ وتنادي بين الحين والآخر، تذكرت ان هناك في اسفل الوادي كوخاً قديماً من حجر، فقررت ان تذهب اليه، لعل ديفيد لجأ اليه.

غير انها لم تكد تقطع مسافة بعيدة حتى سمعت صدى جواب ديفيد يقول لها:

«انا هنا. . . بين الشجرات فوقك. . .».

فخفق قلبها فرحاً عند سماعه، وضاعفت عزيمتها وهي تصعد باتجاه الصوت.

وصاح بها ديفيد:

«أنا آسف... لا اقدر ان اصل اليك... اصعدي مسافة قصيرة فتصبحي قبالتي».

وكان انها وجدته بعد عناء، قاعداً ومستنداً الى ساق شجرة. ولاحظت انه نزع حذاء التزلج ومد رجليه امامه. فقالت له:

«هل اصبت بأذى؟».

فأجابها:

«في كاحلي... وقعت على كاحلي الأيمن».

وسلطت انوار المصباح على قدميه، فسرها انه نزع حذاء التزلج. فقالت له:

«كيف تصعد للتزلج في ساعة متأخرة من النهار؟ هذا انتحار، خصوصاً وانت لا تحسن التزلج...».

فأجابها ديفيد:

«اشكرك على هذه الملاحظة التي تنم عن حنان وعطف. وهي خير علاج لوجعي... كنت اتسلق السفح الثالث من غير صعوبة، عندما شاهدتك تنحدرين كالسهم الخاطف. فعزمت ان الحق بك. ولكني لم اعرف كيف احول مجرى سيري، فوقعت على كاحلي. ثم اتبعت القاعدة التي تعلمتها منك في المرة الماضية، فنزعت حذاء التزلج وحاولت هبوط السفح قعوداً على مؤخرتي. ورجوت ان اصل قبل سقوط الثلج، غير اني تدحرجت الى هنا، فزحفت واستندت الى هذه الشجرة واخذت اصفر!».

فقالت له موراغ بدهشة:

«هل كنت تصفر؟».

وسلطت انوار المصباح على وجهه، فوضع يديه على وجهه وصاح بها:

«لا تفعلي هذا».

فقالت موراغ:

«يا لك من احمق!».

ولاحظت انه يرتجف من البرد، فيما الثلج اخذ يتساقط، فقالت له:

«يجب ان اصل بك الى الكوخ قبل ان تموت من البرد... والآن قم!».

فقام بمساعدتها ووقف على قدميه. وسارت به نحو الكوخ، وهو يضع ذراعه اليمنى على كتفها. ثم قال فرحاً:

«اشكرك على نجدتي يا حلوتي... من كان يظن ان فتاة صغيرة وجميلة مثلك تملك مثل هذه الشجاعة...؟».

وتابعا طريقهما بصمت. وكان على ديفيد ان يتوقف بين الحين والآخر للاستراحة، مما استغرق وقتاً طويلاً للوصول الى الكوخ.

وحين دخلا، استند ديفيد الى الحائط، بينما اخذت موراغ تبحث عن علبة الكبريت لتضيء القنديل الذي كانت تعلم انه يجب ان يكون في مكان ما. ولما وجدته وضعته على طاولة في وسط الغرفة واضاءته. فاذا في الغرفة اثاث مؤلف من مقعدين على جانبي الموقدة، وسجادة تغطي الأرض، واربع كراسي حول الطاولة. وكان على طول احد الجدران خزانة تحتوي مأكولات معلبة وادوات منزلية، وجهازاً للطبخ، وحطباً للموقدة. وفيما موراغ تشعل النار للتدفئة، اعانت ديفيد على الجلوس في احد الكراسي، حيث

حاول نزع حذائه. فلما نزعه بصعوبة، طلبت موراغ ان ترى كاحله المعطوب، فرفض طلبها، كما رفض خلع سرواله المبلل بالثلج، قائلاً انه لم يكن مستعداً بعد للنوم. ولكنه سمح لها ان تعلق له سترته المبللة على قفا كرسي حول الموقدة.

وبعد ان تناولا بعض الطعام، سرت موراغ اذ وجدت طاولة شطرنج واوراق لعب وضعها ايان لفائدة الذين تضطرهم العاصفة للجوء الى هناك. ولما كان الليل في اوله، قبل ديفيد ان يلعب الشطرنج مع موراغ. وسرعان ما شعرا بالدفء والراحة وهما يلعبان بلذة وحبور ويصغيان الى صوت نديف الثلج على زجاج النافذة.

وبذلت موراغ جهدها للفوز باللعبة، فحالفها الحظ في بادىء الأمر. ولكن ديفيد لم يتساهل معها كما كان يفعل والدها حين كانت تلاعبه، فتغلب عليها.

ولما انتهيا من اللعب، رأت موراغ ان الوقت حان لتخبره بأن فرجينيا وطوني موجودان في المزرعة. فلما اخبرته فوجىء وقال لها:

«متى حضر طوني الى هنا؟».

فأجابت:

«لا ادري. طلبا ان يجتمعا اليك، وخصوصاً فرجينيا. وقال طوني انه جاء ليمنعها من ان ترتكب اية حماقة».

فابتسم ديفيد وقال:

«يا له من رجل شهم! انه اوفى صديق لي، وهو لا يعرف ذلك».

كان هذا كل ما اظهره من اهتمام بالأمر. ثم وضع طاولة الشطرنج جانباً وجذب أحد الكراسي ومد ساق قدمه المعطوبة عليها. وبدا لموراغ انه مطمئن هادىء البال.

فقالت له:

«لماذا جئت الى هنا اليوم؟».

فأجابها ببساطة:

«جئت لأراك؟».

فسألته موراغ:

«لماذا؟».

فابتسم واجابها بهدوء:

«لأنك لم تكوني في الفندق...».

فأصلحت من جلستها وقالت:

«لا أفهم تصرفك هذا على الاطلاق!».

فقال لها:

«الأمر في غاية السهولة. أظن ان ما بيننا لم ننته منه بعد!».

فأجابت والحيرة بادية على محياها:

«ارجوك يا ديفيد لا تشاكسني... فأنا حقاً لا افهم ما يبدو منك».

فقال لها ديفيد:

«توصلنا باكراً هذا الصباح الى نقطة مهمة في صداقتنا، قبل ان تفاجئنا فرجينيا... ولم يكن ممكناً ان اقترب منك في السهرة، فرأيت ان اتبعك الى هنا لنتحدث من دون ان يزعجنا احد».

فاحمرت وجنتا موراغ وخفضت نظراتها وهي تقول:

«لم نتوصل الى شيء... ما حدث لا اهمية له... فهو امر عادي بين رجل وامرأة، خصوصاً في حفلة ساهرة».

فقال لها ديفيد:

«كلا. لم يكن هذا انطباعي».

وكان ديفيد يدرك عمق عاطفتها نحوه، فعزم الآن على الافادة من وجودهما وحدهما في مكان منعزل.

فقال لها بعطف لا يخلو من السخرية:

«ها نحن هنا الآن في ملجأ، ومنعزلان، وكل شيء مهيأ للسير بعلاقتنا الى الأمام. . .».

فحدقت موراغ اليه وهي لا تصدق اذنيها وساورتها الشكوك، خصوصاً حين تذكرت ما حذرتها منه فرجينيا واخبرها به بيتر عن مغامرات ديفيد مع الفتيات.

وتابع ديفيد كلامه قائلاً بمزيد من الاغراء:

«هل نستأنف ما انقطع بيننا في تلك السهرة امس؟».

وحارت موراغ ماذا تفعل. اهو صادق في ما يقول ام لا؟ اتتجاوب معه؟ واذا فعلت، فماذا تكون العاقبة؟

فوقفت وادارت له ظهرها وهي تقول بغيظ:

«لا اريد ان اسمع هذا الكلام».

فنهض ديفيد في الحال ووقف وراءها وامسكها بيديها قائلاً:

«لماذا يا موراغ؟ ما السبب؟».

«انت تعرف السبب. . . وتعرف ايضاً اني مخطوبة لأندي».

وظنت انه بعد هذا الكلام سيفلتها، ولكنه ازداد تمسكاً بها وقال بهزء:

«طبعاً. . . تتزوجين آندي وتعيشين سعيدة في بيت قرب البحر. . . كبّري عقلك يا موراغ. كنت اظن انك اكثر شجاعة مما تظهرينه الآن».

فأثار هذا الكلام غيظها الى حد تمكنت عنده من الافلات من بين ذراعيه والوقوف امامه وجهاً لوجه وهي تقول:

«دعني. عزمي على الزواج من آندي لا علاقة له بك. . . وانا اخبرتك بالأمر الآن لعلك ترعوي وتتركني وشأني. . . ام انك تعتقد ان ما من فتاة تقدر ان تقاومك!».

علت وجهه ابتسامة ساخرة لم يتمكن من اخفائها، مما زاد موراغ غضباً على غضب، فقالت له:

«اسخر قدر ما تريد. . . ولا تأخذ اي شيء بجد. . . فرجينيا حذرتني منك. . وبيتر ايضاً. قالا لي انك تصاحب الفتيات للسخرية منهن. . . وانك تحبهن وتتركهن. . . ولكن يجب ان تعرف اني غير هذا النوع من الفتيات!».

فأزال هذا الكلام ابتسامة السخرية عن شفتيه، ولكنها حين نظرت الى عينيه رأت فيهما صلابة الفولاذ.

وقال لها:

«هؤلاء الذين يزعمون انهم اصدقائي يصفون تصرفاتي بأوصاف قاتمة، وانت تصدقينهم. فأي فتاة انت يا موراغ؟ تغرين الرجل، حتى اذا وقع في حبائلك دفعته عنك. يؤسفني ان احداً لم يحذرني منك!».

قال هذا الكلام وابتعد عنها عائداً الى كرسيه، فيما وقفت موراغ مندهشة من تفسيره لموقفها منه. وشعرت بأن حبها له يطغى على كل اعتبار، فما كان منها الا ان اسرعت اليه وركعت امامه وامسكت قدمه المعطوبة وهي تقول:

«نسيت كاحلك. دعني اره، فلعلي اقدر ان اعالجه. . . بشيء ما. كان يجب عليك ان لا تقف عليه طويلاً!».

فصاح بها ديفيد:

«لا، لا تلمسي كاحلي. دعيه وشأنه!».

فقالت موراغ بتذلل:

«ارجوك يا ديفيد. . .».

فقاطعها قائلاً:

«لا اريدك ان تلمسيه. الا تفهمين؟».

وجعلت الكبرياء وجهه صلباً، بارداً كالصقيع. فتراجعت قليلاً ونظرت اليه بحيرة واضطراب، فيما هو يتأوه ويفرك عينيه باحدى يديه ويقول لها:

«اذهبي الى الفراش يا موراغ. انت متعبة وتتكلمين كلاماً تافهاً. وانا متعب ايضاً. وكل منا يهذي. . . فلنترك هذا الأمر الى الغد».

فصاحت به موراغ:

«ولكن كاحلك! ماذا نفعل به؟».

فقال لها بعنف:

«اذهبي ونامي على ذلك المقعد والا ضربتك. . . انت فتاة عنيدة حقاً».

وكان ديفيد يعني ما يقول، ما في ذلك شك. فأطاعت بصمت واخذت تنزع حذاءها وسترتها السميكة، ثم استلقت على المقعد وتغطت بحرام من الصوف وتمتمت قائلة:

«طابت ليلتك!».

وأغمضت عينيها الغارقتين في الدموع وهي تستعيد ذكرى ما جرى. ثم استسلمت الى نوم عميق.

١٠- لا يصح غير الصحيح

استفاقت موراغ على ضوء الصباح الرمادي البارد الذي اخترق النافذة العارية من الستائر. ولكنها بقيت مستلقية على المقعد لتتذكر اين هي. وحين ادارت نظراتها في الغرفة شاهدت ديفيد نائماً على المقعد المقابل. وعندئذ عادت الى ذاكرتها احداث اليوم الفائت. ثم نهضت بحذر ومشت على رؤوس اصابعها الى النافذة، فوجدت ان الثلج توقف عن السقوط، وان الارض ناعمة رائقة. واتجهت نحو الموقدة وهي تحدق الى ديفيد وتتفحصه كما فعلت مراراً حين كانت توقظه في الفندق صباحاً للذهاب الى عمله. وخطر ببالها ان هذه هي المرة الاخيرة التي ستقع عيناها عليه، لأنها صممت، من دون تراجع، ان تسحق عواطفها نحوه. فلبست سترتها وقبعتها،

وامسكت حذاء التزلج والعكازتين وفتحت الباب.

وكان الثلج، لسوء الطالع، تكوّم في الليلة الماضية عند الباب، فكان على موراغ ان تبحث عن رفش لازالته. وعلى الرغم من انها حرصت على الهدوء لئلا توقظ ديفيد، لكن صوت الرفش على بلاط عتبة الباب لم يكن من الممكن تفاديه.

فتثاءب ديفيد وفتح عينيه، ولما رآها صاح بها:

«هاي، ماذا تعملين؟».

فنظرت اليه نظرة عاجلة واجابت ببرودة:

«ازيل الثلج عن العتبة... وانا نازلة لأطلب من ايان ان يحضر الى هنا، مع رفاق له، لمساعدتك على النزول الى المزرعة».

فأمرها قائلا:

«تمهلي، اريد ان أتحدث اليك».

فتجاهلت موراغ كلامه، واعادت الرفش الى مكانه وحملت ادوات التزلج واتجهت نحو الباب. وخطر ببالها ان الهرب منه، وهو غير قادر على الجري وراءها، تصرّف شرس. ولكنها بررت ذلك لنفسها بان تلك كانت فرصتها الذهبية، وعليها ان تغتنمها.

ونظرت اليه وهي في الباب نظرة خالية من الحنان وقالت له:

«لن يطول الوقت حتى يجيء ايان. لا تمشي على كاحلك. وداعاً يا ديفيد!».

وهنأت موراغ نفسها وهي تهبط المنحدر، لأنها استطاعت الهرب من ديفيد بمثل تلك السهولة. لم تكن مسرورة، ولكنها على الاقل لن تراه مرة اخرى فتتحمل مقاومة سيطرته عليها. فما ان يصعد ايان للمجيء به، حتى تكون في طريقها الى الفندق. وما ان يصل ديفيد الى الفندق، حتى تكون عند عمتها شينا المقيمة في احدى الجزر

القريبة، الى ان يعود ديفيد نهائياً الى لندن.

وكان ايان يراقب السفوح بمنظاره وهو ينتظر عودتها، فلما رآها فرح واصغى الى حديثها اصغاء تاماً. وكم سرّ موراغ انه لم يسألها اسئلة كثيرة، واظهر استعداده للصعود حالا الى فوق للمجيء بديفيد وقال لها:

«ادخلي وتناولي طعام الفطور... يبدو عليك التعب والارهاق... واستعدي لتبرير غيابك الليلة الماضية... آندي ينتظرك في الداخل، وبعد ان تحدثي اليه يحسن بك ان تذهبي الى تلك المرأة الشقراء لتشرحي لها الأمر».

وحين دخلت المطبخ وجدت نزلاء الكوخ هناك يتناولون طعامهم، فتلقت منهم وابلا من الملاحظات حول غيابها، وكيف انها تقضي الليالي مع رجال غرباء. وسرّها ان لا يكون دني وفرانك وآن وصلوا بعد الى المطبخ، وان آندي امتنع عن توجيه اية اسئلة اليها، بل قدم اليها الشاي والجبنة.

وفيما هي تأكل اخبرته ماذا حدث لها، وسألته اذا كان يمانع في مغادرة المكان معها حالا الى دارليغ. وقالت:

«عليّ ان الحق بالمركب المبحر الى الجزيرة عند الظهر».

فقال لها آندي بعداء مكبوت:

«ظننت انك ذاهبة غداً، لا اليوم، الى الجزيرة».

فاجابته موراغ:

«من الافضل ان اذهب اليوم، يا آندي، ارجوك!».

فقال لها آندي:

«كما تريدين... ولكن لماذا...؟».

فقاطعته قائلة وهي تلتفت الى الجالسين حولها:

«لا تتكلم بهذا الموضوع الآن... في الطريق اخبرك بكل شيء. والآن انا ذاهبة لأرى الآنسة لنغدون، ثم ألاقيك عند السيارة بعد ربع ساعة».

وأسرعت موراغ الى المزرعة، حيث قضت فرجينيا ليلتها، فوجدتها جالسة امام المرآة تزجج حواجبها وتجمّل وجهها.

وما ان رأتها فرجينيا تدخل الغرفة حتى استدارت واستقبلتها بنظرة عدائية وقالت لها:

«وما بالك عدت... فأين ديفيد؟».

فاجابتها موراغ:

«هناك في الملجأ... اصيب بكاحله... سيذهب ايان للمجيء به الى هنا. وعليك اذا شئت ان تأخذيه مع السيد بلاند الى دارليغ... وتأخذي سيارته ايضاً!».

فصاحت بها فرجينيا:

«ويا لها من رواية مقنعة! لا بدّ انكما نسجتما خيوطها بعد ظهر امس... صعد الى اعلى السفح، على ان تلحقي به مدعية انك تبحثين عنه... وكل ذلك بتواطؤ مع ايان، هذا الذي كان عليه، لخبرته وكبر سنه، ان يمنع فتاة صغيرة مثلك منَ التجوال ليلا على السفوح... أيشكو من وجع في كاحله؟ كنت احسب انه من الذكاء بحيث يبتدع عذراً اكثر اقناعاً من هذا؟».

ففوجئت موراغ بهذا الكلام ولم تجد ما تردّ به عليه. اما فرجينيا فعادت وجلست امام المرآة وهي تقول:

«كنت انتظر ان يحدث ما حدث. ونوهت بذلك لوالدتك، فاخبرتني اين اجدك وكتبت رسالة الى السيد ايان هاملتون... وفي عطلة عيد الميلاد كان ديفيد غريب الاطوار ومحباً للعزلة بحيث ايقنت

انه يخطط لشيء ما. وهذا سبب من الاسباب التي دفعتني الى المجيء الى هنا... كنت آمل ان امنع هذا الذي حدث بينكما... فأنا معجبة بك، مع انني كنت اعتقد انك خير مما برهنت لي. فكثيراً ما تنخدع بالمظاهر، فانت كسائر الفتيات المراهقات اللواتي لا اخلاق ولا آداب سلوك لديهن!».

فأثار هذا الكلام غيظ موراغ، فردت عليه قائلة:

«انت غيورة... غيورة لأنك لم تكوني المرأة التي قضت الليل معه هناك في الملجأ... ولا اتيحت لها مثل هذه الفرصة... كل ما تريدينه هو ان تضيفيه الى ممتلكاتك التي تفاخرين بها كما تفاخرين بحلاك وجواهرك!».

فبهتت فرجينيا لردة الفعل هذه، ولكنها لم تضطرب كما يجب، بل قالت بشيء من الهدوء:

«أتريدين اقناعي بانك تحبينه لنفسه، وانك مستعدة لمنحه كل شيء من دون مقابل؟ آه، كم انت ساذجة! هل اخبرك انه سيسافر الى استراليا للعمل في فرع الشركة هناك، وانه سيتزوجني قبل ان يسافر؟ استراليا غير لندن، ولكنها تناسبني لبضع سنوات... فلا تنخدعي بالأعيبه وظهوره بمظهر الرجل الذي لا طموح عنده...».

فصاحت بها موراغ:

«لك ان تظني ما تشائين عن الليلة التي قضيتها معه هناك... ولكن اريدك ان تعلمي ان عقلك الصغير لا يمكن ان يفهمني او يفهم طريقتي في الحب!».

وفوجئت موراغ عندما رأت الابتسامة تعلو وجه فرجينيا وهي تقول بخبث:

«ها... ها... اذن فلقاؤكما هناك في وسط الثلج لم يكن كما انتظرتما! انا مسرورة لأجلك طبعاً، يا عزيزتي. وخير لك ان تحتفظي بذلك الشاب اللطيف الذي لك!».

وادركت موراغ انها لن تتمكن من التغلب على فرجينيا في معركة كلامية، فغادرت الغرفة بسرعة واغلقت الباب وراءها.

ولم يكن الحديث الذي جرى بينها وبين آندي، وهما في طريقهما بالسيارة الى الفندق، اقل ازعاجاً.

ففي بادىء الامر لزما الصمت، فانصرفت موراغ الى التفكير بكلمات فرجينيا التي جعلتها تشعر بالصغارة والحقارة، مع العلم انها لم تكن تستحي بما قامت به. وعندما شعرت ان آندي ينظر اليها، لم تتمكن من تشديد عزيمتها للبدء بالكلام.

وبعد حين قال آندي شاكياً:

«لا افهم كيف ذهبت وحدك للبحث عنه. لماذا لم تعلميني بالأمر؟ كنت ذهبت معك».

فلم تجبه، لانها لم تعرف بماذا تجيب. فتابع كلامه قائلا:

«تصرفك هذا وضعني في موقف حرج ازاء الآخرين في الكوخ، ولكني سررت لأننا لم نخبرهم بخطبتنا، والا لكانوا نظروا الي نظرتهم الى معتوه يترك خطيبته تنام في كوخ هناك في وسط الثلج مع رجل آخر...».

واذن، فكل ما همه من الحادث خوفه من ان يعتبره الناس معتوهاً. هذا ما فكرت به موراغ وهي تتذكر كيف ان ديفيد لا يبالي برأي الناس فيه.

فقالت لآندي:

«لم يعد يعنيك هذا الامر يا آندي، لأني لن اتزوجك».

فانحرفت السيارة قليلا عن الطريق عندما سمع آندي هذا الكلام. ثم قال:

«قولي ما تشائين يا موراغ، فانا... اصفح عما فعلت!».

فصاحت به موراغ:

«تصفح عني؟ ماذا تظن اني فعلت؟ ابلغ بك التفكير الرجعي الى هذا الحد؟ انا لم ارتكب اي خطأ... وانا حرّة في ما افعل... وكذلك عزمت على ان لا اتزوج الا فيما بعد...».

فتجهم وجه آندي وقال لها:

«ولكن ماذ اقول لأهلي؟ فهم يظنون اننا خطيبان!».

فقالت له موراغ:

«قل لهم ما تريد... قل لهم انك لا تحب ان تتزوج فتاة حمقاء قضت ليلتها مع رجل آخر».

فاعتذر لها آندي قائلا:

«لم اقصد ان اغضبك يا موراغ... ولكنك توافقينني على ان ما فعلته كان في غير موضعه... فانت اكثر من معجبة به، وهذا امر بعيد عن الصواب».

فحارت موراغ كيف تجيب. وبعد ان تأملت في الثلوج المتراكمة خارجاً قالت:

«قد تكون على حق... وفي اية حال، فلماذا تتزوج باكراً؟ دعنا ننتظر الى ان ندخر مزيداً من المال ونكتسب ما نحتاج اليه من الخبرة في الحياة...».

واستمر آندي في الكلام، ولكن موراغ لم تكن تصغي. وشعرت، بعد الذي قالته، بارتياح شديد، كأنما حمل ثقيل وقع عن كاهلها. فهي حرة الآن، ولم يعد عليها ان تأخذ آندي بعين الاعتبار

في كل ما ستفعل.

وما ان وصلا الى الفندق حتى كانت موراغ ملكت اعصابها واصبحت قادرة على التصرف برصانة وهدوء عندما دخلت على امها في المطبخ وقالت لها بعد التحية:

«هل تمانعين اذا ذهبت اليوم، لا غداً، الى الجزيرة لزيارة خالتي؟ يمكنني ان استقل المركب المسافر في الثانية عشرة والنصف».

فاجابت جين:

«كنت اظن انك ستبقين الليلة هنا... هل حدث ما يزعجك؟».

فقالت لها موراغ:

«كلا. قررنا، انا وآندي، ان لا نتزوج!».

ففوجئت جين وقالت:

«وماذا جرى بينك وبين آندي؟».

فاجابتها موراغ:

«لا شيء. غيّرنا رأينا. هذا كل شيء. امي، هل اخبرت ديفيد اين كنت البارحة؟».

فاعترفت امها قائلة:

«نعم. فعلت ذلك سهواً. دخل الى هنا بعد ان ذهبت، فتناول معي فنجاناً من القهوة واخذ يحدثني بلباقته المعهودة، فلم اتمالك من ان اخبره عن مكان وجودك... فهل ذهب الى هناك؟ وهل رأيت الآنسة لنغدون والسيد بلاند ايضاً؟».

فقالت لها موراغ:

«نعم، ديفيد وقع على الثلج واصيب في كاحله... فيكون عليك ان تعتني به حينما يحضر. وارجوك ان لا تقولي له هذه المرة اين

ذهبت. سأعود من الجزيرة بعدما يرحل من هنا... وداعاً يجب ان اسرع لئلا يفوتني المركب!».

فاستوقفتها جين قائلة:

«موراغ، ماذا جرى؟ لم تخبريني شيئاً. الآنسة لنغدون غضبت حين علمت ان ديفيد ذهب للتزلج، فكان عليّ ان ادلّها كيف تصل الى هناك، واعطيتها رسالة الى ايان... وبدا لي انها كانت قلقة عليك».

فصاحت موراغ:

«علي انا؟ كلا. كانت الغيرة تأكلها... وهي لا بد من ان تخبرك ماذا جرى... وكان علي انا ان اخبرك، ولكن لا وقت لدي الآن. وداعاً يا اماه».

«واسرعت نحو الباب غير مبالية بنداء امها. وسرّ موراغ انها اصبحت قادرة ان تستقل برأيها.

وعلى متن المركب وقفت تتأمل الامواج وتنظر الى الجزيرة الصغيرة وهي غارقة في لون رمادي. وحين اقترب المركب من المدينة التي يسكنها عمها وخالتها شيئا شعرت موراغ بالمرح، لأن شعار سكان تلك الجزيرة كان: «الغد دائماً يأتي، فلماذا العجلة؟».

وهذا يبعث جواً من الحبور، فينسي ما في الحياة من قلق واضطراب.

وفي اليومين الاولين اللذين قضتهما موراغ في الجزيرة لم يخطر ديفيد ببالها الا لماماً. ذلك ان خالتها كانت من النساء اللواتي يملن الى الثرثرة وكثرة الكلام. ثم انها كانت تتشوّق الى معرفة كل شيء عن زواج اختها جين في المستقبل القريب، وعن بيتر والعمل الذي يقوم به، وعن كثير من الشؤون العائلية وسواها.

ولكن موراغ، بعد اليومين الاولين، اي يوم الثلاثاء، بدأت تحس بالكآبة والشوق الى الفندق. وفيما هي جالسة مع خالتها قرب الموقدة تساعدها في طيّ الغسيل وكيّه، ارخت يديها وشردت مستسلمة الى تفكير عميق. فلاحظت خالتها ذلك، فقالت لها:

«ماذا بك يا موراغ؟ هل وقعت في الغرام؟».

فلم تغضب موراغ من هذا السؤال، بل شعرت بان الوقت حان لطرح الموضوع. واصغت شينا اليها باهتمام مشوب بعدم الرضى، فقالت:

«يا لك من فتاة حمقاء! يبدو لي ان ديفيد هذا رجل حلو المعشر، فلماذا هربت منه؟».

فحملقت موراغ في وجه خالتها بدهشة وقالت لها:

«لم اهرب على الاطلاق! فهو سيتزوج فرجينيا التي هي من نصيبه، واهتمامه بي عابر لا صدق فيه».

فقالت لها شينا:

«كيف علمت ذلك؟ انت مثلنا كلنا، اما كل شيء اولا شيء!».

وحاولت موراغ ان تفند هذه العبارة، حين رنّ جرس الهاتف. فخرجت شينا الى الغرفة المجاورة للردّ، ثم رجعت لتقول لموراغ ان جين على الهاتف، فهل تريدين ان تتحدثي اليها؟

فهرعت موراغ وامسكت سماعة الهاتف لتسمع والدتها تقول لها:

«هذا انت يا موراغ؟ عساك بخير يا ابنتي. قلت انك ستتصلين بي... رون وستيف سافرا اليوم، بعد ان انهيا عملهما في المحطة... وقبل سفرهما اقاما حفلة وداع هنا في الفندق. اتذكرين السيد ريد وزوجته؟ نزلا في الفندق في الصيف الماضي. والبارحة كانا هنا، فاخبرتهما اننا سنبيع الفندق، فاظهرا اهتماماً بالامر. لديهما

مال كثير. فما رأيك؟».

اجابتها موراغ:

«افعلي ما ترينه خيراً... كيف حال ديفيد؟».

قالت لها جين:

«بخير... عاد الى عمله اليوم مستنداً الى عكاز... قال لي انه سيغادرنا الى لندن نهائياً يوم الخميس، كما كان مقرراً. هذا مع اني لا اعتقد انه يجب ان يسوق سيارته بعد... ولكنه عنيد كما تعلمين!».

وسألت موراغ امها:

«هل الآنسة لنغدون والسيد بلاند لا يزالان هناك؟».

فاجابتها جين:

«كلا. سافرا يوم الاحد بعد الظهر، حالما رجعا مع ديفيد. آه، لو تعلمين يا موراغ ماذا حدث بين ديفيد والآنسة لنغدون... جرت مشادة لم تسلمي فيها انت ايضاً، من لسانها. اما السيد بلاند فكان عفيف اللسان، فامتدحك على جرأتك في الصعود لانقاذ ديفيد... وكان على الآنسة لنغدون ان تكون في لندن يوم الاثنين لأن والدها بحاجة اليها... صار برتبة بارون الآن».

فقالت لها موراغ:

«هل سأل ديفيد عني؟».

اجابتها جين:

«كلا. لم يتفوه بكلمة في الموضوع... وهو كعادته يحتفظ بمرحه رغم كاحله. اتريدين ان انقل اليه اية رسالة منك؟».

فاجابتها موراغ:

«كلا، كلا. سأعود الى البيت يوم الجمعة. شينا والعم هامش والاولاد سيحضرون معي. وهم جميعاً يتشوقون لحضور حفلة

العرس».

ولم يرق لموراغ ان ديفيد لم يسأل عنها. . . وهو سيرحل يوم الخميس من دون ان يترك لها كلمة. ولكن، ألم تُرد ذلك؟ سيعود الى لندن ويتزوج فرجينيا، رغم كل شيء. وبعد الزواج يترقى الى رتبة مدير في الشركة، فيركب افخم السيارات ويدخن افخر انواع السيكار. . . وقهقهت موراغ عندما فكرت بهذا كله، وكيف ان هذا كله لا يليق بديفيد.

ولما جاء يوم الخميس، كانت موراغ تنشر الغسيل في الهواء الطلق، حين نادتها خالتها شينا وقالت لها ان تحضر الى المطبخ في الحال. فهرعت موراغ، وما ان دخلت الى المطبخ واغلقت الباب وراءها حتى رأت ديفيد جالساً الى الطاولة يرشف قدحاً من الشاي. ففوجئت ولم تتمكن من الكلام، فقالت لها شينا.

«هذا هو عريس احلامك يا موراغ!».

ووقف ديفيد بصعوبة وقال لها مبتسماً:

«كيف حالك يا موراغ؟».

فاجابته موراغ:

«امي اكدت لي انك مسافر الى لندن اليوم».

فقال لها ديفيد:

«امك قالت لك انني سأترك الفندق، ولكنها لم تقل الى اين؟. . . وحين اظهرت لها رغبتي ان ازور احدى الجزر القريبة، اقترحت علي هذه الجزيرة. وشينا تفضلت فدعتني لقضاء هذه الليلة هنا».

فصاحت موراغ:

«ما هذا يا شينا؟».

فقالت لها شينا:

«من الصعب مقاومته يا موراغ. . . والآن فما عليك الا ان ترافقيه في جولة حول الجزيرة، فيما اهيىء طعام الغداء».

فسرّ ديفيد بهذه الفكرة واقنع موراغ بقبولها، فأصلحت من هندامها استعداداً للتجوّل. ثم ودعا شينا وركبا السيارة الحمراء الصغيرة، فقالت له موراغ:

«كيف عرفت اني هنا؟».

فاجابها ديفيد:

«سألت جين عنك فاخبرتني انك هنا».

فقالت له موراغ:

«ولكني اوصيتها ان لا تخبرك».

فاجاب:

«هكذا قالت لي. ولكني عندما اخبرتها لماذا اريد ان اراك قررت ان لا تعمل بوصيتك!».

فسألته موراغ:

«لماذا أتيت الى هنا؟».

فصاح بها معاتباً:

«ما لك تكثرين من الاسئلة؟ جئت لأرى الجزيرة. وخالتك امرأة مضيافة وذكية، فتفاهمنا في الحال. والآن، هل لك ان تلعبي دور الدليل فتشرحي لي مناظر هذه الجزيرة؟».

وكانت السيارة تنطلق على مهل في شارع ضيق، حتى اذا وصلت الى آخره توقفت فنزل ديفيد وموراغ وسارا مشياً على الاقدام الى حيث وجدا صخرة مسطّحة في وسط منبسط معشوشب، فجلسا عليها.

وقال ديفيد:

«هذا مكان رائع. فهو هادىء حتى في عز الشتاء».

ثم التفت اليها وأمسك بيدها، فمانعت وقالت له:

«لا تلمسني. لا افهم كيف تجرأت ان تأتي الى هنا. فانت لا تطيق ان يردّ لك طلب... قلت لك في الكوخ اني لا اقول نعم لأي رجل اصادقه... والآن، ارجوك ان تبتعد عني».

ورأى ديفيد ان المسألة بلغت حداً فاصلا لا مجال فيه للأخذ والرد، فامسكها بكلتا يديه، وقد اخذ منه الغضب كل مأخذ، وجعلها على ركبتيه وراح يضربها بعزم على مؤخرتها. وشعرت موراغ بالمهانة وهي تصرخ وتستجير، الا ان ديفيد لم يكن يبالي. وفجأة طرحها على الارض وهي تشهق بالبكاء وتتلوى عند قدميه.

وقال لها:

«كان يجب ان افعل هذا تلك الليلة في الكوخ... فاذا لم تكوني ذلك النوع من الفتيات، كما تقولين، فماذا يجعلك تعتقدين اني ذلك النوع من الرجال؟».

فاجابت وهي تبكي:

«فرجينيا قالت لي...».

فصاح بها:

«لعنة الله على فرجينيا... الم تدركي انها كانت تلعب لعبتها؟ فمن صالحها ان تخبرك ذلك عني، وانت صدقتها... صحيح اني عرفت فتيات كثيرات، فانا في الثلاثين من العمر ولا ادعي القداسة».

وبقيت موراغ تشهق بالبكاء، ولكنها شعرت بالارتياح والسرور. ثم همت بالوقوف على قدميها، فنهض ديفيد واعانها برفق وحنان قائلا:

«وهل آذيتك؟ لو تعرفين كم اثرت غضبي... كنت طويل البال معك، لأني ادركت انك حائرة وسريعة العطب. فكنت، كلما اقتربت منك، تصدينني وتعيّرينني، الا في تلك العطلة التي قضيناها في هوايت كراكز... واظن انك كنت تعتقدين اني نويت اغتصابك».

فتضاحكا، وقالت موراغ:

«كلا، لم يكن هذا هو السبب. كنت اخاف ان توقعني في غرامك ثم تتركني وتذهب. وهذا امر لا اطيقه. فاذا كنت تريدني، فيجب ان يكون ذلك الى الابد...».

فأجلسها ديفيد الى جانبه على الصخرة وبدأ يحدثها قائلا:

«دعيني الآن اصارحك واخبرك بكل شيء... التقيت فرجينيا منذ خمس سنوات في حفلة راقصة اقامتها الشركة. كانت رائعة واسرتني باهتمامها وعنايتها بي. ومهما يكن، فهي ابنة رئيس الشركة، وكنت انا مهندساً عادياً في ذلك الوقت. ولكن بعد ان ادركت انها تنوي تسيير شؤون حياتي، قررت ان اضع حداً لعلاقتي بها. ولحسن الحظ كان علي ان اذهب في مهمات الى بعض المحطات في الخارج، وهذا ساعدني كثيراً على التخلص منها، رغم ملاحقتها لي بشتى الوسائل.

ولكن ذلك لم يكن كافياً، على ما يبدو، فحاولت اذلالها وطعن كبريائها في الصميم، فلم ينفع ذلك ايضاً. وحين رجعت الى لندن في السنة الماضية، وجدت انها استخدمت نفوذها في الشركة لتعييني في المركز الرئيسي. وكانت تنشر خبر عزمنا على الزواج لتضعني امام الامر الواقع، مما اثار غضبي الشديد...».

وكانت موراغ تلاحظ كل حركة يقوم بها ديفيد وتصغي الى كل

كلمة اصغاء تاماً.

وتابع ديفيد كلامه قائلا:

«وفي الايام الاخيرة لحقتني الى هنا، ثم عمدت الى اقناع الشركة بتقديم وظيفة عالية جداً، مقرّها في سيدني، عاصمة استراليا، حيث لا مانع عندها ان تقيم لمدة من الزمن... وجاءت الى هنا في اول السنة لتخبرني بالأمر... وانت، من حيث لا تدرين، ساعدتها على تنفيذ تلك المؤامرة. فاعلمتها اني ارفض الوظيفة المقترحة واكدت عليها ان تكفّ عن ملاحقتي...».

فقالت له موراغ:

«والآن ماذا تظن انها ستفعل؟».

فاجابها ديفيد:

«ستتزوج طوني بلاند، اذا كانت عاقلة وانا نصحتها بذلك».

فسألته موراغ:

«هل كنت تحبها في فترة من الزمن؟».

فاجاب ديفيد:

«كلا. انا احب فتاة صغيرة تنظر اليّ بعينين واسعتين بريئتين».

فانشرح صدر موراغ لهذا الكلام وقالت له:

«هل انت صادق في حبك لي يا ديفيد؟».

فاجابها ديفيد:

«اما كفاك ما فعلته حتى الآن برهاناً على صدقي؟ والآن، قولي لي: هل تتزوجينني؟».

فاجابته موراغ:

«هل تعني ما تقول؟ اخبرتني مرة انك لا تريد ان ترتبط بأحد؟».

فصاح بها ديفيد:

«ما بالك تشككين بي في كل ما اقول... أما اقتنعت بعد اني احبك واريدك لي وحدي... الى الابد؟».

فوقفت موراغ امامه واخذت تلطم صدره العريض بكلتا يديها، وهي تردد:

«احبك يا ديفيد!».

فأمسكها وضمها اليه وقال لها بجدّ:

«هل تقطعين معي المحيط الاطلسي يا موراغ... لأن مقرّ وظيفتي الجديدة سيكون في كندا. يجب ان اسافر في غضون شهر، وهذا وقت كاف لنتزوج... فماذا تقولين؟».

فطوقته موراغ بذراعيها وهي تقول:

«قل تعالي فاتبعك...».